الجواب الصحيح عن من بدّل أقوال الرسول الأمين



الجواب الصحيح عن من بدّل أقوال الرسول الأمين

شادي العبادي باحث في تاريخ الأديان

المقدمة

لستُ أدَّعي أني عالم كبير، ولا فقيه، ولا حتى شيخ دين.. أنا مجرد رجل من عامة المسلمين الذين وجدوا أنفسهم في مأزق حقيقي في هذا الزمان بسبب أخبار يدَّعي بعضهم أنها أخبار السماء. وأنا - كأي شخص يبحث عن الحقيقة حتى يزول عنه الجهل - وجدت نفسي أَغُوص في مشاكل أكبر تُجبرني على الاختيار بين خيارين لا ثالث لهما:

إما أن أترك الدين وأُسَلِّم لكل أقوالهم وادعاءاتهم (كما يفعل أعداء الدين)،

أو أجد لنفسي مخرجًا من هذا المأزق لأستمر في الإيمان الذي يعطي حياتي معنى.

ولأني لم أختر الخيار الأول، فقد عكفتُ على الدراسة والقراءة في كتب أهم المختصين والباحثين.. بحثٌ استمر أكثر من ثلاث سنوات من المطالعة ومجالسة العلماء وغير العلماء ممن لهم باع في هذا الشأن، وخرجت بنتيجة أن كل ما يُقال عنه "السنة" ما هو إلا هراءٌ فوق هراء..

لكن يجب أن أوضح: هذا الكتاب ليس هدفه نفي كل السنة، فصاحب هذه الكلمات يؤمن بالسنة النبوية، وليس الغرض إنكار كل جهود العلماء عبر الأزمان. بل المقصود التيسير على الناس الذين وجدوا أنفسهم في معضلة اسمها "الحديث النبوي".

ففي سنة 2025، لم يعد الإنسان يقبل أن يجد حديثًا يُحَقِّر

المرأة كحديث "المرأة كالحمار" (1)،

ولا أن يقبل المسلم قتل إنسان لمجرد ترك الدين بما يُعرف بـ"حد الردة" (2)،

ولا أن يُقتَل شارب الخمر (3)،

ولا صاحب الميول المثلية ويُرمى من شاهق (4)،

ولا أيًا من هذه الأمور وغيرها.

هذا الكتاب هو بحث مختصر ميسر في تاريخ علوم الأحاديث، وكيف تم صناعة هذا العلم وتحريف كلام النبي.. (5)

والحق أقول لك أيها القارئ العزيز: لا أريد منك أن تأخذ أي فكرة عني إلا بعد أن تنتهي من قراءة كلامي. فأنا متأكد - والحق أقول - أنك لن تعود نفس الشخص بعد هذه الكلمات..

المصادر

1- حديث: "وذُكِرَ عندها ما يقطع الصلاة: الكلب، والحمار، والمرأة. فقالت عائشة: قد شبهتمونا بالحمر والكلاب"

(صحيح مسلم، رقم: 512)

2- حديث: "من بدل دينه فاقتلوه"

(صحيح البخاري، رقم: 3017)

3- حديث: "إذا سكر فاجلدوه، فإن عاد الرابعة فاقتلوه"

(صحيح أبي داود، رقم: 4484)

4- حديث: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"

(صحيح أبي داود، رقم: 4462)

5- تنبيه مهم: أتناول في هذا الكتاب الأحاديث بوصفي باحثًا في تاريخ الأديان، لا كمختص في الحديث. فأنا لا أؤمن أساسًا أن الإسلام محصور برجال الدين. أقدّم هذا البحث من منظورين:

- كباحث في الأديان

- وكمسلم يبحث عن الحقيقة

في اعتقادي أن هذا من سبل التقدم، أن يُدلي كل شخص بدلوه في مجال تخصصه، لعلنا نجد حلولًا لمشاكل نعانيها اليوم. كما قال الدكتور فراس السواح في كتابه "اللّٰه والكون والإنسان":

"ان أهل الحرف في المسيحية يتوقعون منك اذا تكلمت في المسيحية أن تلتزم بما تعلموه في مدارس اللاهوت ، أو ما يكرره رجال الدين في موعظة يوم الاحد ،

وأهل الحرف في الاسلام يتوقعون منك اذا تكلمت في الاسلام ان تتكلم مثل شيخ ازهري ، او مثل خطيب مسجد في يوم الجمعة ، ان تلغي عقلك وتتماثل مع الموروث وهو المطلوب ، هذا الموروث الذي ما فتئ يعيد انتاج نفسه منذ قرون ، أو بالاحرى انتاج صور اكثر رداءة عن نفسه .وانا هنا لا ادعوالى نسف الموروث وانما ادعو الى تجاوز مرحلة الجمود التي وصل اليها الفكر الديني ، والى اعادة فهم النصوص المقدسة بما يتلاءم وروح العصر ، لانه وكما اجتهد الاولون ، فإن باستطاعتنا نحن ان نجتهد ، بل وافضل منهم لاننا صرنا مزودين بمعارف لم يكونوا يحملون بها ، ولن نقبل بابن تيمية ولا بالقديس أوغسطين وصياً على فكرنا .

التاريخ المجهول في علوم التاريخ الحديث

وإذا أتينا إلى بداية تاريخ السُّنَّة النبوية، سنجد العديدَ من الادعاءات حول كتابة السُّنَّة في عصر النبي نفسه. وهناك بعض الأقاويل والآثار تدعي فعلًا أن بعض الصحابة كتبوا الأحاديث من عهد النبي نفسه (1)، والآن في هذا الزمان الحاضر أيضًا، يدعي البعض وجود مخطوطات للصحابة لهذه المدوَّنات (2).

وفي الواقع، هذا كلُّه لا يعدو إلا مجرد ادعاءات بلا دليل ملموس. فإذا سألنا أصحاب هذا الزعم عن الأدلة على ما يقولون، لقالوا لنا إنهم يمتلكون العديدَ من الروايات التي تدعم هذه الادعاءات! وهذه مشكلة في حد ذاتها، ولا تعد دليلًا؛ لأنها تعتمد على الرواية الشفهية، لا على دليل مادي قوي يمكن للإنسان الرجوع إليه وفحص صدق هذا الادعاء.

بمعنىً أوضح، دعني أقول لك الآن: إن "التنين الأبيض أزرق العينين" حقيقية، والدليل على ذلك أن: جَدِّي جَدِّي جَدِّي جَدِّي جَدِّي جَدِّي قال لي هذا، وأنه شاهد هذه المخلوقات الغريبة! فهل هذا الزعم يستقيم؟! (مع العلم أن شهادة جدي ثقة، وهو عدلٌ، وكان يمتلك العديدَ من الأصحاب الذين شاهدوا التنين أيضا و انا أثق بهم!)

وهذا ما كان يحدث فعلًا عند بسطاء الناس وحتى وقت قريب. فجدتي كانت تحكي لي أساطير عن "الغُول"، وأنها شاهدته هي ومجموعة من عائلة أبي، وكان أبي ينقل لي هذه الرواية نفسها. وإذا أخذتَ الأمرَ بجدية مثلي ودرستَ الأساطير العربية، لعرفت أن "الغُول" بالفعل أسطورة عربية أصلية، ولكن لم تكن مكتوبة، وكان كل شخص يضيف عليها قدراتٍ وخرافاتٍ خاصة به. وهذا المخلوق الأسطوري، بسبب الادعاءات حوله، وجد طريقه إلى السُّنَّة النبوية! فهناك العديد من الأحاديث النبوية التي تروي حقيقة وجود هذا المخلوق (3).

إن ما أحاول أن أقوله هنا بهذا المثال هو أن النقل الشفهي لا يمكن الوثوق به؛ فهو بالضرورة سوف يحصل فيه أخطاءٌ وزياداتٌ ومبالغات. وهناك العديد من التجارب الاجتماعية، مثل تجربة "Broken Telephone Game"، التي يكون فيها مجموعة من الأشخاص يتناقلون نفس الجملة، ومن شخص لآخر يتم إضافة زيادات للكلام. ولقد قمتُ بهذه التجربة في بعض الأماكن عندما كنتُ في إحدى المؤسسات التطوعية، وكانت النتيجة أن كلمة "تلفزيون" أصبحت "قطار"! لا أعلم كيف، ولكن هذا ما يحدث.

وزيادةً على ذلك، أقول: إن تتبع عدد من الأديان القديمة والأساطير التي نُقلت عن الطريق الشفهي يُعلِّم جيدًا أن هذه الطريقة هي السبب الأساسي في ضياعها! فالدين بدون تدوين يزيد عليه من شاء ما شاء بسبب بُعد المسافة بين المؤسس والكاتب. وقد يحصل في بعض الأديان عند بداية التدوين خلطٌ بين كلام المؤسس وكلام المفسر! وحصل هذا مع الدين الزرادشتي عندما بدأ التدوين، واختلطت التفاسير مع الكتب المقدسة بعد فتح الإسكندر الأكبر لفارس (4).

وعِوَضًا عن ذلك، ما هو الدليل الملموس على أن كاتب هذا الحدث هو فعلًا شاهد عيان؟!

من المعلوم أن شيوخ الحديث قالوا إنه يجوز رواية الرواية بالمعنى! بل أغلبهم يعتقد أن الصحابة نقلوا الأحاديث بالمعنى الذي كانوا يفهمونه! (5)

وهذه مصيبة! ولنوضح أكثر، نقول: كلام النبي لم يكن يصل إلينا بالحرف كما قاله، بل وصل إلينا ما كان المستمع يفهمه، لا ما كان يقصده النبي بالضرورة!

ومن المؤكد أن كل شخص سوف يروي هذا الكلام الشفهي وقد يضيف من هنا وهناك أشياء، وهذا ثابت وسوف نبينه في مكان آخر (6).

والمشكلة الأخطر: ما الدليل على أن النبي قال هذا الكلام في عصره؟

بمعنى: ما الدليل على أن ما يُطلق عليه "الحديث" كُتب أيام النبي؟

الجواب: لا يوجد دليل! فلا توجد مخطوطة واحدة لكتب الأحاديث ترجع لزمن النبي محمد عليه السلام، ولا حتى الصحابة ولا التابعين، حتى لو ادعى ذلك البعض.

وحتى "البخاري" - أقدس هذه الكتب بعد كتاب الله - لا وجود لمخطوطة واحدة أصلية له بين أيدينا. وأيضًا كتب السيرة النبوية تعاني من نفس المشكلة، كسيرة ابن هشام، ولا يوجد أي كتاب يسبق كتاب القرآن. ومن المعلوم أن القرآن جُمِع بشكله الحالي بعد النبي أيضًا (7).

بمعنىً أوضح: لا يوجد لدينا دليل من عصر النبي نفسه على أنه قال هذا الكلام، بل الموضوع مجرد أقوال تُنسب إلى مقام النبوة.

وهذا إشكال عظيم! تخيل أن يقول أحد: "قال النبي: أُمرت أن أقاتل الناس"، ثم يضيف سندًا متخيلًا ويصدق عليه الشيوخ والعلماء! وحصل هذا في الماضي في قضية تحريم القهوة؛ ففي وقت من الأوقات، حُرِّمت القهوة بحجة أن النبي حرمها بالعديد من الأحاديث، وفي ذلك الوقت، اجتمع الكل على تحريمها وعلى صحة الأحاديث، ولكن مع الوقت غيَّروا كلامهم (8).

كيف سأتأكد من صحة هذا الإسناد المكتوب وأنا لا أملك أي دليل على أن المؤلف قال هذا الكلام؟! قد يكون اختراعًا لعيون بعض السلاطين، أو قد يكون أي شيء؛ فلا أحد كان هناك حتى يتأكد. وهذا يذكرني بأغنية أحبها تقول عن الحرب: "فقط الأموات شاهدوا نهاية الحرب". فلا أحد يمكن أن يعود حتى يتأكد من قال ماذا!

وهناك دراسة بعنوان : نماذج من وضع بعض اهل الحديث المجسمة أقوالا على علماء السلف لنصرة مذهبهم الباطل - لشيخ حسن السقاف اثبت ما نحن نتكلم عليه وهو تأليف الاسانيد لعيون السلاطين لمن يحب ان يرجع .

وهناك دراسات لبعض المختصين بالمخطوطات، كبشار عواد، مثلاً، قال في إحدى محاضراته إن نسخ البخاري تم التعديل في بعض رواياتها!! مثل رواية:

"عمار، تقتله الفئة الباغية "

الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: 447 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وقال في نفس المحاضرة إنه حتى هذا الوقت، لا يوجد باحث جمع كل النسخ والمخطوطات ودرسها وحققها تحقيقًا علميًا، ولكن بعد دراستها هو، وجد هذا

الاختلاف مثلاً الذي ذكرته (9).

وأما إذا كنا نريد أن نتساهل ونأخذ الرواية الإسلامية التراثية التقليدية، فنجد مشكلة كبيرة جدًا، وهي تتمثل في أن النبي رفض أن تُكتَب السُّنَّة الخاصة به بنص الحديث:

((لا تكتبوا عني شيئًا إلا القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحه))

وأما الأحاديث التي تقول بجواز الكتابة وأن النبي أجاز ذلك، فكلها محل شك ورفض عند جماعة من العلماء، مثل الإمام وشيخ السلفية في مصر الشيخ محمد رشيد رضا، الذي صرح ببطلان هذه الأخبار كلها. ونقل مجموعة من النصوص التي تقول إن الصحابة قاموا أيضًا بمنع كتابة السُّنَّة! وأيضًا الشيخ محمد الحافظ التيجاني ضعَّف جميع الأحاديث التي تأمر بكتابة السُّنَّة، وقال إنها لم يثبت بها شيء ، والأستاذ جمال البنا والشيخ محمود أبو رية (10).

وأيضًا، من جانب آخر، فقد ثبت أن الخلفاء الراشدين رفضوا كتابة السُّنَّة، وكانوا يحرقون أي كتاب يوجد به أحاديث للنبي. وهذه الأخبار متواترة عن الخلفاء الراشدين عن رفضهم لكتابة هذه الروايات، وأيضًا رفضهم أخذ مصدر آخر غير القرآن:

- أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا. فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه.

- أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنن، فاستخار الله شهرا، ثم أصبح وقد عزم له، فقال : ذكرت قوما كتبوا كتابا فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله عز وجل

- أن عمر أراد أن يكتب الأحاديث أو كتبها، ثم قال: لا كتاب مع كتاب اللّٰه.

- لما حضر رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وفي البيت رجال، فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر: إن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب اللّٰه. فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي صلى اللّٰه عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: قوموا قال عبيد اللّٰه: فكان ابن عباس، يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم.

- أنَّ عُمرَ بنَ الخَطَّابِ قالَ لابنِ مَسْعودٍ ولأَبي الدَّرْداءِ ولأبي ذَرٍّ: ما هذا الحَديثُ عنْ رسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ؟ وأَحْسَبُهُ حَبَسَهُمْ بالمَدينَةِ حتَّى أُصيبَ.

- سمعت عثمان بن عفان على منبر يقول لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر. فإنه لم يمنعني أن أحدث عن رسول اللّٰه أن لا أكون أوعى أصحابه ألا إني سمعته يقول من قال علي ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار

- سمع عمر يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم، أو لألحقنك بأرض دوس. وقال لكعب: لتتركن الحديث، أو لألحقنك بأرض

القردة (11).

وقد يقول قائل: إن بعض هذه النصوص لا تصح، ونرد عليهم أن علماء الحديث قالوا: إن كثرة الروايات في أمر ما يقوي بعضها بعضًا، وهنا لدينا (شبه تواتر) على أخبار عدم كتابة للسنة. ((وقد قال النووي رحمه الله في بعض الأحاديث: وهذه وإن كانت أسانيد مفرداتها ضعيفة، فمجموعها يقوي بعضه بعضًا، ويصير الحديث حسناً ويُحتج به. وسبقه البيهقي في تقوية الحديث بكثرة الطرق الضعيفة)) (12). بل إن النصوص ليست كلها ضعيفة، بل هناك الحسن وهناك الصحيح فيها (13). وبعض العلماء أخذوا بهذه النصوص، مثلاً:

وقال الشيخ أبو بكر بن عقال الصقلي في فوائده على ما رواه ابن بشكوال:
إنما لم يجمع الصحابة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصحف كما جمعوا القرآن، لأن السنن انتشرت وخفي محفوظها من مدخولها، فوكل أهلها في نقلها إلى حفظهم ولم يوكلوا من القرآن إلى مثل ذلك، وألفاظ السنن غير محروسة من الزيادة والنقصان كما حرس الله كتابه ببديع النظم الذي أعجز الخلق عن الاتيان بمثله، فكانوا في الذي جمعوه من القرآن مجتمعين، وفي حروف السنن ونقل نظم الكلام نصا مختلفين، فلم يصح تدوين ما اختلفوا فيه.
وقد ظل الأمر في رواية الحديث على ما ذكرنا، تفعل فيه الذاكرة ما تفعل، لا يكتب ولا يدون طوال عهد الصحابة وصدرا كبيرا من عهد التابعين إلى أن حدث التدوين - على ما قالوا - في آخر عهد التابعين قال الهروي :
لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث إنما كانوا يؤدونها لفظا ويأخذونها ((...))ثم شاع التدوين في الطبقة التي تلي طبقة الزهري، وكان ذلك بتشجيع العباسيين . وقد اعتبر ابن شهاب الزهري أول من دون الحديث، ولعل سبب ذلك أخذ بني أمية عنه - وجاء في تذكرة الحفاظ: أن خالد بن معدان الحمصي لقى 70 صحابيا. وكان يكتب الحديث وله مصنفات، ولكن لم يأت لهذه المصنفات ذكر في كتب الحديث، ومات ابن معدان سنة 104 هـ. وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري، بعد أن بين أن آثار النبي لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأنهم نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم ... إلخ (14).

وهذا دليل على عدم كتابة الحديث في عصر النبي ! وهذا يصب في أن هذه الأخبار وغيرها صحيحة! ونعود لنكرر أنه حتى وقت كتابة هذا الكتاب في سنة 2025، لا توجد أي مخطوطة تعود لزمن النبي لأي كتاب من كتب الأحاديث! بل

كتب السيرة أيضًا، وكل ما يخص النبي محمد! وهذا كلام الباحث السوري المختص بتاريخ الأديان فراس السواح في كتابه "الوحي والنص"، الذي أفرد في كتابه فصلًا كاملًا بعنوان: "ماذا نعرف عن النبي محمد؟"، انتهى بالنهاية للقول إن كل الأخبار والسيرة لم تُكتب إلا في العصر العباسي حسب الروايات التاريخية والمخطوطات التاريخية (15).

وهذا غريب بالنسبة لحضارة تدعي أنها مدعومة من السماء! فمن المنطق أن الإله يعلم الغيب ويعلم أن هذه الحجة ستُطرح، فلماذا لم يشأ أن توجد مخطوطة من زمن النبي، أو أن يكتب النبي هذا الكلام؟! أترك هذا الأمر لك يا صديقي لتفكر به.

الآن نتساءل: كيف ظهرت السُّنَّة؟

ببساطة، السُّنَّة هي إفراز سياسي ظهر بسبب الصراع السياسي بين علي ومعاوية. ومعاوية حاول استغلال فكرة السُّنَّة لنشر أحاديث وأخبار تتناسب مع وضعه السياسي، وهذا بسبب أن خصم معاوية هو علي، الذي قال فيه النبي: "إنه لا يُحبك إلا مؤمن، ولا يُبغضك إلا منافق" .

وكان الوضع العام بالنسبة لمعاوية ميؤوسًا منه بسبب قتل عمار، الذي قال عنه النبي: "عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار" .

وعندما مات عمار بسبب جيش معاوية، قال معاوية كتفسير لهذا الحديث:

فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمار. فقال معاوية: قتل عمار فماذا؟ فقال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "تقتله الفئة الباغية". فقال له معاوية: دحضت في بولك! أونحن قتلناه؟ إنما قتله علي وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا - أو قال: بين سيوفنا -".

وهناك اثر في بعض المراجع الشيعية ينقل رد الامام علي على معاوية فيقول :

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): فرسول الله (صلى الله عليه وآله) إذن قاتل حمزة!! . شرح نهج البلاغة: ٢٠ / 334 / 835، العقد الفريد: 3 / 337

ففي هذا الجو، حاول معاوية خلق حصانة دينية له كتلك التي عند علي، فأمر أهل الشام برفع المصاحف ضد علي (16). وقد استخلص بعض الباحثين المختصين

بالتاريخ وعلم الأديان والشيوخ أن معاوية لم يكن مسلمًا أصلاً! بل كان يدعي الإسلام حتى يصل لما يريد. وقد وردت فعلًا بعض الأحاديث بهذا الشأن، منها ما نقلها الشيخ حسن فرحان المالكي في كتابه "هل مات معاوية على دين الإسلام؟"، ولدينا الشيخ حسن السقاف في كتابه "زهرة الريحان"، وهناك الباحث العلماني السوري المخضرم نبيل فياض في كتابه "زمن معاوية"، وهناك دراسة جمال البنا في "نحو فقه جديد"، وهناك الكثير من المراجع التي كانت توصل معاوية بالنفاق بل والكفر!

فيقول النبي مثلا : "أول ما يُغير سنتي رجل من بني أمية" . ولقد اعتبر الشيخ حسن السقاف هذا دليلاً على أن معاوية كان يحرف الإسلام .

ولكن من وجهة نظر أخرى لي، قد تكون هذه الأخبار كلها محض تلفيق من الخلافة العباسية؛ فلم يبدأ تدوين السُّنَّة إلا مع الخلافة العباسية وتحت أعينهم، ومن المعلوم حقد العباسيين على الأمويين لدرجة نبش قبورهم وجلد جثثهم، كما حصل مع السفاح أول خلفاء بني العباس! (17).

فلا يمكن الثقة كثيرًا في أي رواية في التاريخ العربي من وجهة نظري، ولكننا فقط نقول إن هذه الروايات إذا صحت، فهي تدل على تحريف حاصل من عهد الصحابة أنفسهم ومن زمن النبي نفسه لأغراض سياسية. ويمكن لنا تتبع هذا التحريف في هذه النصوص .

وقد كان معاوية يستغل السلطة التي لديه، وكان يأمر الناس بشتم الإمام علي على المنابر، وقد سنَّ هذه السنة السيئة جدًا (18).

وكان معاوية يبطش بكل المخالفين له حتى من الصحابة بحسب الرواية الموجودة لدينا، فقتل الصحابي حجر بن عدي، وقتل عبد الرحمن بن عديس البلوي، وقتل العديد غيرهم (19).

وكان بعض الصحابة يخافون ذكر الكثير من الاحاديث والتفاسير وضاعت هذه النصوص للأسف ... فمثلا يقول أبو هريرة في البخاري : حفظت من رسول الله

وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الاخر فلو بثثته قطع البلعوم . رقم الحديث 120

ولقد نقل الباحث المتخصص في تاريخ الأديان فراس السواح في كتابة اخوان الصفاء عدد من النصوص التي تحمل نفس المعنى : ويروى عن عبدالله بن عباس انه قال في الآية 12 من سورة الطلاق : لو فسرت هذه الآية أمامكم كما سمعتها من رسول الله لرجمتموني . وقال ابن عباس : لو فسرته لكنت فيكم الكافر المرجوم .

وبسبب كل هذا الظلم، خاف الصحابة والناس من الاعتراض على معاوية. فكان معاوية يتاجر بالأصنام! وكان أيضًا يتاجر ويشرب الخمر، وهناك روايات تقول إنه دخل المسيحية، ولكنها لا تصح. ولكن هذا كله يطرح العديد من علامات الاستفهام؛ لوجود أيضًا بعض العملات النقدية التي تخص خلافة بني أمية يُرسم عليها الصليب! فهل كل هذا صدفة؟! (20).

ولم يكن يجرؤ أحد على الكلام في خلافة معاوية والاعتراض عليه، وهذا ساهم أكثر في تحريف السُّنَّة وضياع أقوال النبي واستبدالها بكلام البشر.

وهذا الأمر كان يقول به بعض الصحابة، أن بعضهم كان يقلب حديث النبي ويختلط عليه حديث البشر بحديث النبوة. والغريب أن المسؤولين عن هذا القلب في الأحاديث كلهم مقربون من معاوية، بل كانوا في بلاطه!

منهم كعب الأحبار، وهو يهودي أسلم، وقال بعض الصحابة إن البعض اختلط عليهم كلامه بكلام النبي:

"أيها الناس، اتقوا الله، وتحفظوا في الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة، فيحدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب، ويجعل حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم."

وقد كان عمر بن الخطاب يحذر الصحابة من السماع لكعب:

سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم، أو لألحقنك بأرض دوس. وقال لكعب: لتتركن الأحاديث، أو لألحقنك بأرض القردة.

ولكن يبقى السؤال: من هو كعب هذا الذي يقلب النصوص والأحاديث وأرعب كبار الصحابة، واستطاع أن يجعل كلامه في مستوى كلام النبي؟

كعب هو واحد من كبار اليهود الذين أسلموا، ولم يكن الوحيد ولكن هو في رايي صاحب التاثير الاكبر . وجل ما لدينا اليوم من تفاسير هو من أقوال كعب واليهود = (اليهود الذين أسلموا) .

بل من المضحك والمحزن أن الموسوعة اليهودية نفسها تعتبر كعبًا من أهم المصادر الإسلامية، وتقول إنه قد يكون ادعى الإسلام:

" أحد أبرز آباء التقليد الإسلامي، وأحد الذين أدخلوا إلى هذا الفرع من الأدب العربي منهج وموضوعات كثيرة مأخوذة من 'التراث' اليهودية. تُوفي في السنة 32 أو 35 للهجرة (652 أو 655 ميلادية). لا يُعرف شيء عن حياته المبكرة سوى أنه كان يهوديًا من أهل اليمن. اسمه الكامل كان أبو إسحاق كعب بن ماتع بن هيسو (هوشع). وتوجد نسب الا أصل عربي خالص؛ ويُحتمل أن هذه النسب قد اختُلقت بعد اعتناقه الإسلام. فقد أسلم في عهد الخليفة أبي بكر (بحسب روايات أخرى: في عهد عمر)، وانضم إليه في المدينة. وبسبب علمه الديني، أُطلق عليه لقب 'الحبر' أو 'الأحبار'. كان يُلقي محاضرات في القرآن وسيرة محمد، ليس من زاوية التفسير أو السيرة فقط، بل بأسلوب وعظي وأسطوري، تمامًا كما كان يفعل عبد اللّٰه بن سلام. وهذان الرجلان وضعا الأساس للأساطير التي تُعظّم شباب النبي ودعوته النبوية. من أبرز تلاميذ كعب: ابن عباس وأبو هريرة، وهما من كبار رواة الحديث، وقد طورا فن تمجيد حياة النبي إلى أقصى حد، ولذلك لا يُعتبران مصادر موثوقة جدًا. وكان كعب محبوبًا جدًا من الخليفة عمر، الذي كان يستشيره كثيرًا، خاصةً في المسائل الدينية. أما من الناحية السياسية، فقد كان كعب من أنصار عثمان، وتعرّض مرة للجلد على يد أبي ذر الغفاري، الذي لم يكن راضيًا عن إدارة الخليفة. تُنسب إلى كعب العديد من الأقوال، منها قوله: 'العالم

سيستمر ستة آلاف سنة' (قارن: سنهدرين 97 في التلمود). وهناك أقوال أخرى منسوبة إليه تُمجّد مصر وتُظهر تفوقها على سائر البلدان. وقد اعتزل كعب في أواخر حياته."(21).

وتقول المراجع الإسلامية عن كعب وكالذهبي:

"هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي صلى اللّه عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي اللّه عنه، فجالس أصحاب محمد صلى اللّه عليه وسلم، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب ويأخذ السنن عن الصحابة. وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء."(22).

وتذكر المراجع الإسلامية وغيرها أن كعبًا هو من دل عمر بن الخطاب على مكان الصخرة، وكان يريد من عمر أن يقوم بعمل المسجد (مسجد عمر) مكان الهيكل حتى يصلي المصلي باتجاه الهيكل. ولقد اكتشف الأمر عمر واتهم كعبًا:

"يا ابن أم كعب، ضارعت اليهود." - البداية والنهاية دار عالم الكتب ص656 جزء 9

ولكن السؤال: لماذا أيضًا كان يهتم كعب بالصخرة بالتحديد؟ نجد الجواب عند السيد نبيل فياض، الذي يقول إن الهدف كان عند كعب من ادعاء الإسلام هو الحصول على الأرض المقدسة بعد التخلص من المسيحيين الذين أذاقوهم أنواع العذاب. فكان كعب يطمح لخداع عمر. والكتب اليهودية تذكر أهمية الصخرة ("قبة الصخرة" اليوم)، وأن العالم تأسس منها. أما في التراث الإسلامي، فلا يصح أي خبر عن هذه الصخرة (23).

وكان عمر حذرًا جدًا تجاه كعب، ولكن في النهاية، الأمر وصل الحكم لمعاوية، ومعاوية جعل كعب الأحبار مقربًا جدًا منه (24)! وسمح معاوية لكعب بأن يقص على الناس القصص من كتب أهل الكتاب. ولغياب التدوين كما أسلفنا القول، انتشرت أقوال كعب وانتشرت الكثير من عقائد اليهود بين المسلمين (وهذا الأمر أوضح من أن يقال اليوم). وللحق، ليس فقط اليهود، بل أديان أخرى كذلك. وفكان بعضهم = (أي أصحاب الأديان)من الدول التي تم احتلالها ، كان حاقد وبعضهم كانوا يدعون الإسلام حتى لا يُقتلوا، وبعضهم كان يحرف الإسلام من الداخل

حتى ينتقم ، والبعض الاخر كان يخفي النفاق ،وقد اطلق النبي على بعض الصحابة مصطلح النفاق ، والقران أيضا الذي وصف المنافقين حول النبي :

{الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا} (التوبة: 97)

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ}(التوبة: 101)

وأما في الأحاديث:

"في أصحابي اثنا عشر منافقًا، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة"

الراوي: حذيفة بن اليمان | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: 4235.

" فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك."

الراوي: عبدالله بن مسعود | المحدث: أحمد شاكر | المصدر: تخريج المسند لشاكر | الصفحة أو الرقم: 6/164.

وهناك من ارتد وأعلن ترك الإسلام بشكل صريح، كشخص كان من قبيلة النجار الذي ارتد وأصبح مسيحيًا:

"كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فرفعوه، قالوا: هذا قد كان يكتب لمحمد فأعجبوا به."

الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2781.

وهناك من ارتد وعاد لدين ، كعبد الله بن سعد بن أبي السرح، الذي كان كاتبًا للوحي وارتد. وبعض الروايات المختلف عليها حسب علماء الحديث تروي أنه

كتب آية من القرآن والنبي أعجب بهذه الآية المزورة:

"وأخرج ابن أبي حاتم، عن السدي في قوله: {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء} قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، أسلم، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فكان إذا أملى عليه 'سميعًا عليمًا' كتب 'عليمًا حكيمًا'، وإذا قال 'عليمًا حكيمًا' كتب 'سميعًا عليما'، فشك وكفر وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحي إلي."

الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم: 3979.

والثابت أن بن السرح ترك الإسلام وطلب المساعدة من عثمان أخيه في الرضاعة، وفي النهاية رضي النبي عن بن السرح. وقد اختلف العلماء: هل أسلم بحق أم كان ينافق فقط؟! ومن الجذير بذكر ان ابن السرح كان مقرب أيضا من معاوية .

ولا ننسى أيضًا أنه بعد موت النبي، ارتد الكثير من العرب، وقسم آخر ذهب مع مسيلمة الكذاب. وهذا يثبت أن الكثير منهم لم يكن يؤمن، بل كان ينافق حتى لا يُقتل أو من أجل المصالح كالمال أو الزواج من المسلمات.

وهناك من كان يدعي الإسلام وهو حاقد، كأبو لؤلؤة المجوسي، وهو شخص اختلف عليه المسلمون السنة والشيعة بين بطل وشيطان. فالرواية الشيعية تعتبر أبا لؤلؤة بطلًا وشهيدًا ومؤمنًا حقيقيًا وكان مسلمًا، والدليل على ذلك أنه اغتال عمر أثناء الصلاة! لو لم يكن مسلمًا، كيف يدخل للمسجد ولا يعترض عليه أحد؟ أما الرواية السنية لا تعترف بأيمانه .

وهناك شخصيات أخرى كثيرة لا داعي لذكرها، ولكن ما نحاول أن نقوله هنا هو أن البعض كان يدعي الإسلام سواء لمصلحة أو لهدف الطعن به من الداخل، وهناك من كان يحرف، وهناك من كان يدخل في الإسلام الكثير من الأمور بحسن نية وهو لا يقصد ذلك، ولكن يحاول أن يفسر الإسلام بحسب ما كان لديه من رواسب. ويقول الشيخ حسن السقاف:

“هذا وقد تبينت لي عدة قضايا واتضحت أثناء تخريجي لأحاديث ونصوص الكتاب, ومن أهمها ثبوت العلاقة الوطيدة والصلة المتينة بين عقيدة المجسمة

وبين العقائد اليهودية الإسرائيلية !! حيث أن كثيراً من تلك النصوص التي يعتمد المشبهة والحشوية عليها مقتبسة من مثل كعب الأحبار أو وهب بن منبه أو ابن سلام أو نوف البكالي ونحوهم .. وهذا أمر لم يتنبه له كثير من المشتغلين في الأحاديث والآثر المتعلقة بموضوع الصفات !! ولم يدركوا أن هذه الأحاديث التي التي يتشبث بها المجسمة والمشبهة ونحوهم , والتي يذبعونها ويشوشون بها عقائد العامة ما هي إلا خرافات اسرائيلية يهودية مصدرها التلمود الذي هو خرافات أحبار ورهبان اليهود المجسمة" (25).

وجمال البنا أيضًا انتبه لنفس الأمر:

"ولا جدال أن السرعة الفائقة التي تمت بها الفتوحات ضمّت إلى إطار الإسلام مجموعات عديدة من السكان ورثت حضارات غريبة استقرت في نفوسهم رواسبها - فلم تُستوعب تمامًا ما تلقته من أحاديث أو فهمتها على نحو مختلف، وأدارتها كما فهمتها. وهناك قلة حزّ في نفسها انتصار الإسلام وقضائه على الروم والفرس، فعمدت للثأر منه والكيد له الى ((وضع)) الاحاديث التي تفسد وازع العقيدة." (26).

وبعد انتشار كل هذه الخزعبلات والنصوص التي تقوي حكم بني أمية والعقائد الغريبة، ظهر عصر جديد وهو العصر العباسي، الذي ابتدأ يقوم على نفس ما بدأ به الذين كانوا قبله، ونشروا القصاصين مرة أخرى، وكانوا يفعلون مثل بني أمية (في شتم علي)، وبدأ بحملة تشويه ضدهم عن طريق الأحاديث التي تقول عن غضب النبي جراء أخذ بني أمية الحكم:

"إني رأيتُ في منامي كأنَّ بني الحَكَمِ بنِ أبي العاصِ ينزونَ على منبري كما تَنزو القِردةُ فما رُؤِيَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ مستجمعًا ضاحكًا حتى تُوفِّيَ."

وبعدها نشروا أحاديث تثبت حكمهم وأنه حكم الله إلى يوم القيامة:

" حدثتني أم الفضل -رضي الله عنها- قالت: مررت بالنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "إنك حامل بغلام، فإذا ولدت فأتيني به"، فلما ولدته أتيت به النبي -صلى

اللّه عليه وسلم- فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، وألبأه من ريقه، وسماه عبد اللّه، وقال: "اذهبي بأبي الخلفاء"، فأخرت العباس -وكان رجلاً لبّاسًا- فلبس ثيابه، ثم أتى إلى النبي -صلى اللّه عليه وسلم- فلما بصر به قام فقبّل بين عينيه، فذكر ذلك لرسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- فقال: "هو ما أخبرتك، هو ابن الخلفاء حتى يكون منهم السفاح، حتى يكون منهم المهدي، حتى يكون منهم من يصلي بعيسى ابن مريم عليه السلام "

وقال:

"حدثنا عبيد اللّه بن عبد الصمد بن المهتدي، حدثنا محمد بن هارون السعدي، حدثنا أحمد بن إبراهيم الأنصاري، عن أبي يعقوب بن سليمان الهاشمي، سمعت المنصور يقول: حدثني أبي، عن جدي، عن ابن عباس رضي اللّه عنهما: أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال للعباس: 'إذا سكن بنوك السواد، ولبسوا السواد، وكان شيعتهم أهل خراسان.. لم يزل الأمر فيهم حتى يدفعوه إلى عيسى ابن مريم.'" (27).

وبعد كل هذا، طلب الخلفاء العباسيون من بعض العلماء كتابة السيرة النبوية في عصرهم، وهي سيرة ابن إسحاق، ولكنها غير موجودة اليوم لدينا، بل لدينا مختصرها سيرة ابن هشام.

وبعدها ابتدأت عملية جمع الحديث الإسلامي، وهناك إجماع بين الجميع أن هذا هو العصر الذي ظهرت به كل العلوم الإسلامية وبدأ التدوين. هناك البعض يدعي أن التدوين أقدم من ذلك، وأن عمل العلماء كان فقط التجميع والتحقيق، وهذا محض كذب لغياب أي دليل مادي كمخطوطات لأي من كتب السيرة أو الحديث تعود لزمن النبي (28).

وفي كل الأحوال، هناك انقطاع بين العلماء وبين من يروون عنهم. الكتابة ابتدأ والتجميع في العصر العباسي، لم يكن هناك قبل هذا العصر تدوين ولا هم يحزنون! فمن المؤكد أن الكثير من الأخبار تسربت. ولقد عقد الشيخ السلفي المشهور "متولي إبراهيم" - وهو كان من أنصار جهيمان - بعد عمر طويل ودراسته لعلم الحديث، ووصل لنتيجة أن 95% من الروايات في مسلم والبخاري

ضعيفة! ولقد عقد الشيخ مناظرتين مع شيوخ الأزهر الشريف، وهما موجودتان على قناته الرسمية، أثبت فيها عدم وجود تراجم للعديد من الأشخاص الذين من المفترض أن نأخذ الحديث منهم! بمعنى أوضح، نحن نأخذ الدين والحديث من مجاهيل، وحتى تراجم بعضهم لا تغطي ربع صفحة وتكون سطرًا أو اثنين! وهذا بسبب التأخر الشديد بالتدوين والتلاعب بما لدينا (29).

الخلاصة

إن السُّنَّة تعد عملًا بشريًا بامتياز، ولا خلاف على ذلك. فلا يوجد دليل يعود لعصر النبي يثبتها، وإذا أخذنا الروايات، لوجدنا أن النبي نفسه رفض هذه السُّنَّة، والخلفاء من بعده.

الواقع أن السُّنَّة اختراع سياسي من أجل السيطرة على البسطاء وتدعيم الحكم السياسي، لا أكثر ولا أقل.

وباعتراف جميع العلماء، الجمع وأيضًا العلوم ظهرت كلها في العصر العباسي، ولم يكن هناك شيء قبل ذلك إلا روايات شفهية.

المصادر

=================

1- بصائر، النسخة الإلكترونية للدكتور المهندس هيثم طلعت، ص688.

2- ولقد اعترف الدكتور بشار عواد معروف بعدم وجود أي مخطوطة بيد المؤلف الأصلي، بل كل ما هو عندنا عبارة عن نسخ وروايات فقط لا أكثر ولا أقل. وحاول أن يبرر الأمر بحجة اتفاق النسخ، ومن المعلوم اختلاف النسخ والطبعات. المصدر لكلام الدكتور عواد: مقطع بعنوان "أقدم نسخة من صحيح الإمام البخاري كتبت بعد وفاته بـ 100 سنة – د. بشار عواد معروف".

3- العلاج الرباني للسحر والمس الشيطاني، مجدي محمد الشهاوي، طبعة دار مكتبة الساعي، ص12-16.

4- منذر الحايك، سلسلة كتب مقدسة 11 – أبستاق – كتاب زرادشت المقدس – دراسة مقارنة، دار صفحات، ص16-17. الرحمن والشيطان، فراس السواح، دار التكوين، ص87-105.

5- أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، الطبعة السادسة، دار المعارف، ص53-50-51.

6- تم تناول هذا الأمر بتفصيل في فصل بعنوان: "من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار".

7- صحيح البخاري نهاية أسطورة، دار الوطن، ص164-241-242.

8- مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر ابن عاشور، ص134.

وهناك مقال على جريدة الوطن بعنوان: «شاربها يحشر يوم القيامة بوجه أسود».. من وراء أحاديث تحريم القهوة؟ كتب: أشرف محمد، الثلاثاء 21 ديسمبر 2021.

وهناك مقال لطيف في الأمر في موقع قناة العربية بعنوان: سلطان عثماني حرّم القهوة وقطع رأس كل من شربها.

وذكر أيضًا الكواكب السائرة أن بعض العلماء حرموها: "واختلف العلماء في أوائل القرن العاشر في القهوة وفي أمرها، حتى ذهب إلى تحريمها جماعة ترجح عندهم أنها مضرة، وآخر من ذهب إليه بالشام والد شيخنا الشيخ شهاب الدين العيثاوي، ومن الحنفية بها القطب ابن سلطان، وبمصر الشيخ أحمد بن أحمد بن عبدالحق السنباطي تبعًا لأبيه. والأكثرون ذهبوا إلى أنها مباح، وقد انعقد الإجماع بعد من ذكرناه على ذلك – أي على الإباحة –". اهـ (الكواكب السائرة، للغزي 1/113-114).

9- الدكتور بشار عواد معروف يتحدث عن صحيح البخاري بين الأصول الخطية ونظرية الانتقاء. اسم القناة: Bibliotheca Alexandrina

10- نحو فقه جديد، المجلد الثاني، ص219 - 227 - 198 .

11- قال بعض العلماء إن هذا الحديث مرسل، وحكم المرسل القبول عند أبي حنيفة ومالك وهو مقبول – المنهاج الحديث في علوم الحديث للدكتور الشريعة الإسلامية والحديث في الجامعة الأردنية شرف القضاة، ص83.

12- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، ج1، ص93.

13- ولقد نقل جمال البنا أيضًا العديد من النصوص الأخرى في كتابه العظيم "الأصلان العظيمان"، ص268 - 275، ونقل كلام الإمام محمد رشيد رضا برفض وتضعيف جميع الأحاديث الدالة على كتابة السنة، ونقل كلام مجموعة من العلماء بالأمر.. وأيضًا أضواء على السنة المحمدية، ص26-30.

14- أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، الطبعة السادسة، دار المعارف، ص232 حتى 237. وأيضًا كتاب تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، ص5.

15- الوحي والنص، فراس السواح، الباب الأول: السيرة النبوية في مقارنة نقدية، الطبعة الأولى ، دار التكوين.

16- مقدمة العلو، لشيخ حسن السقاف، دار الإمام النووي، ص8-9-12-14. تاريخ الخلفاء، للسيوطي، دار الإمام ابن حزم، الطبعة الأولى، ص140.

17- الحقيقة الغائبة، فرج فودة، ص95.

18- زهرة الريحان، دار الإمام الرواس، لشيخ حسن السقاف، ص152.

19- المرجع السابق، ص162-164.

20- راجع كتاب الشيخ حسن السقاف "زهرة الريحان" بخصوص شرب الخمر، ص156-159. والشيخ فرحان المالكي استعرض أحاديث دخول معاوية المسيحية في كتابه "هل مات معاوية على دين الإسلام؟". أما

بخصوص العملات، فهي موجودة على الشبكة الإلكترونية، فأي بحث عنها على الإنترنت بأي لغة سيظهرها.

21-

The Jewish Encyclopedia: KA'B AL-AḤBAR: By: Richard Gottheil, Hartwig Hirschfeld.

22- سير أعلام النبلاء، ج3، ص490.

23- القرآن ككتاب مقدس – أرثر جفري، ص33-38. أما بخصوص تضعيف أحاديث الصخرة، يمكن لك الرجوع لكتاب الباحث الكبير يوسف زيدان "شجون التراث".

24- القرآن ككتاب مقدس – أرثر جفري، ص45-48-49.

25- مقدمة كتاب العلو، لحسن السقاف، ص8.

26- نحو فقه جديد، مجلد 2، ص14.

27- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص16-19.

28- المنهاج الحديث في علوم الحديث، ص24-

29- مع ابراهيم عيسى على اليوتيوب :

https://youtu.be/fpUp08ybsNU?si=TrSggT5GIOfMLq9n

و المناظرات على قناة بعنوان - AlsayedAlrahmany@

https://youtu.be/ybchhY2fcvM?si=0dkgbYwzs05RNbfN

+

-https://youtu.be/xQMxFt3g9U4?si=P0ieyTqdfxDbHWx

ظنية السنة

قد يبدو العنوان غريبًا، وهو بحقٍّ من أكثر الأمور صدمةً بالنسبة لي، وهو تصنيف الأحاديث والسنة على أنها "آحاد".

و في البداية نقول : ذا نقصد بـ الآحاد؟

هو الحديث ظني الثبوت، ولا يمكن أن يكون الظني قطعيًا (1). المشكلة أن تصنيف السنة كلها "آحاد" - بمعنى أوضح - كل السنة ظنية، ولا يمكن التأكد إذا كانت صحيحة أم لا؟! (2). حتى الصحيح من هذه الأحاديث يبقى ظني الثبوت؟!

وهذا ما صرّح به فخر الدين الرازي في كتابه "أصل التقديس" في فصل "الآحاد"، حيث اعترف أن السنة وقع فيها التحريف حتى في البخاري ومسلم، ولا يجب أن نثق بأي حديث بنسبة 100%، فقد نجح أعداء الإسلام بخداع المشايخ وأدخلوا نصوصًا (موضوعه) والآن يُقال إنها صحيحة وهي لا تخرج عن "الكذب والوضع" (3).

هذا الكلام يختصر الكثير مما قد يقال بخصوص السنة والآحاد. فإذا كان هذا رأي الرازي - وهو من هو في الإسلام - فماذا يمكن أن نقول بعده؟

وإذا أتينا إلى باقي التصنيفات كالحديث الضعيف والحسن والصحيح حتى، فكلها تدخل في العنوان العريض "الآحاد". فالقضية كلها ظنٌّ وغلبة ظنٍّ. فإذا قلنا عن حديثٍ إنه صحيح، فقد يصل إلى نسبة تصل إلى 98% من الصحة. وإذا قلنا عن حديثٍ إنه حسن، فهو صحيح بنسبة 50%. وإذا قلنا عن حديثٍ إنه ضعيف، فهو ضعيف بنسبة 30%. القضية ظنية فقط، لا أكثر ولا أقل.

وهذا الأمر انتبه إليه علماء المسلمين، فحدث الاختلاف بين كل الفرق الإسلامية، وحتى بين العلماء من نفس الطوائف.

و لا يتوقف الاختلاف حول الأحاد فقط . بل لأنواع أخرى من الأحاديث. فمثلًا، ما يُطلق عليه "المتواتر" مختلف عليه من عالم لآخر ولا ضابط له (4). والمتواتر عكس الاحاد ، وهذا ايضا يثبت ان كذبة التواتر لا وجود لها وفي كل الأحوال سوف نفصل في قضية المتواتر ، ولكن يجب في البداية ان نوضح الاختلافات بين الفرق على الاحاد :

- **الأشاعرة** يقولون إن حديث الآحاد يمكن لهم القبول به، ولكن يجب ألا يخالف قضية عقائدية أو يثبت حدًّا (5).

- **المعتزلة** أنكروا أحاديث كثيرة لأنها آحاد، واعتبروا كونها ظنية فيجوز ردها إذا كانت تخالف نصًا قرآنيًا أو تخالف العقل. ولقد كان يقول " واصل بن عطاء" وهو من شيوخ المعتزلة :

(إن العقل المطلق هو قبل الإيمان المغلق)

(نرفض الايمان طريقاً إلى الدين إذا لم يقبله العقل) . (6)

-**السلفية الوهابية** يثبتون ويقبلون أحاديث الآحاد، سواء خالفت العقل أو النصوص القرآنية، بل يقولون: "إن السنة قاضية على القرآن"، ويقدمون النقل على العقل. بل إن الإمام أحمد - وهو الأساس لهم - كان يقبل بالحديث الضعيف إذا لم يجد حديثًا صحيحًا في مسألة، وأيضًا مجموعة من العلماء كانوا يقبلون الحديث في عدد من المسائل (7).

- **الخوارج** رفضوا الكثير من السنة لأنهم ببساطة لا يعتقدون عصمة النبي إلا في تبليغ القرآن ، ويعتقدون أن أي خبر يخالف القرآن يجب ان يرفض .(8)

- **الشيعة** يرفضون أي حديث يخالف العقل والقرآن أو رواية أصح منها، ويأخذون بأخبار أهل البيت، وحجتهم أنهم أعلم الناس وأقربهم للنبي عليه السلام (9).

وكل هذا يعني عدم وجود يقين حقيقي بين الفرق الإسلامية بحجية ما يقولون عنه "السنة". فالقرآن لا خلاف عليه، ولكن السنة لا يوجد اتفاق عليها حتى بين الفرق السنية نفسها. وهذا الاختلاف ناتج عن عدم الاتفاق على ما هو المتواتر، وإجماعهم على أن السنة كلها آحاد ظنية!

وأريد أن أعيد مرة أخرى: هذا الكلام يشمل كل السنة بالصحيح والضعيف. واما الخلاف حول الأحاديث المتواترة كبير جدا ، لدرجة ان القوم لا يتفقون على كم عدد الاحاديث المتواترة - وهو الذي رواه عدد كبير يستحيل اتفاقهم على الكذب (10).

- البعض قال إن الأحاديث المتواترة 50 (11).

- البعض قال لا يوجد أي حديث متواتر إلا حديث واحد، كشيخ الأزهر محمود شلتوت الذي قام بعمل لجنة من الأزهر لدراسة الأمر وخرج بهذه النتيجة (12).

- وهناك من قال لا توجد أحاديث متواترة أصلاً (13).

- وهناك من قال إن كل السنة آحاد! (14).

- وصاحب كتاب "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" جعل الأحاديث المتواترة 310!

فلا يوجد اتفاق، ولكني أرجح موقف الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر، الذي جمع لجنة من الأزهر وكانت النتيجة عدم وجود أي حديث متواتر عن النبي إلّا حديث واحد: "من كذب علي..."، وحتى هذا الرأي الأخير هو أيضًا محل خلاف. فحديث "من كذب علي" مختلف على كونه متواترًا بين العلماء لوجود العديد من الروايات للحديث، وكلّ واحدة منها تختلف اختلافًا كبيرًا جدًا عن الأخرى (15). وإذا كان هذا حظ الحديث الوحيد الذي يعتقد أغلب العلماء تواتره، فما بالك بباقي الأحاديث؟!

فلا أعلم ما المعنى إذا كانت السنة تخالف صريح القرآن والإنسانية والمبادئ الحضارية، لماذا يتم إجبارنا عليها اليوم؟ إذا كان كل هذا الاختلاف بين المسلمين السنة أنفسهم؟

- لماذا يجب علينا أن نقبل ضرب الأطفال من أجل الصلاة؟ (16)

- لماذا علينا أن نقبل بقتل تارك الدين والقرآن يقول: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}؟ (17)

- لماذا نقبل بقتل صاحب الميول المثلي؟ (18)

- لماذا يجب علينا القبول بقصة تقول إن النبي تزوج طفلة بعمر ست سنين؟! (19)

- لماذا نقبل بالأحاديث التي تقول إن على النبي قتل الناس؟ (20)

لا أعلم لماذا كل هذا، والأمر أبسط من ذلك؟ لماذا نغضب عندما يستلهم رسام من هذه الأحاديث لوحة ساحرة أو فيلم ساخر من النبي، ونحن من صنعنا السيناريو؟

الأمر لا يحتاج إلا إلى إعمال العقل في هذا الزمان وفي هذه النصوص، والنظر إلى الواقع والقيم وحقوق الإنسان التي وصلنا إليها. القرآن كان صريحًا وواضحًا أن النبي سيكون رحمة للعالمين، فكيف يكون رحمةً وكلامه يستنبط منه قتل تارك الصلاة عند بعض الشيوخ؟! (21)

وناهيك ان الكثير من هذه النصوص تخالف القرآن وتناقض السنة ذاتها!

والله قال في القرآن:

لَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرً .

وأيضا هناك الكثير من التناقضات مثلا :

- القرآن يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54].

- الحديث: "من بدل دينه فاقتلوه".

- القرآن يقول: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256].

- الحديث: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة".

ناهيك عن الأحاديث والقصص الشنيعة، كقصة قتل الرجل الأعمى لزوجته لأنها شتمت النبي. وسأتركك مع القصة وفكر بنفسك: هل النبي الذي بُعث رحمةً للعالمين يصدر منه هذا الأمر؟

القصة:

"أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر. فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله

عليه وآله وسلم وتشتمه، فأخذ المعول فوضعه واتكأ عليها فقتلها. فلّما أصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجمع الناس فقال: أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام. فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتدلدل حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة. فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المعول فوضعته واتكأت عليه حتى قتلتها. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ألا اشهدوا أن دمها هدر."

هل تعتقد أن هذا الكلام يمكن ان يصدر من النبي ؟

هل نبي الرحمة سيمدح هذا الإجرام بحق سيدة كانت تساعد زوجها الذي لا يرى؟

المشكلة أن الأحاديث ذاتها تقول إن أم الصحابي أبي هريرة كانت تشتم النبي أيضًا، والنبي كان يدعو لها:

"إن أمي كانت امرأة مشركة، وكنت أدعوها إلى الإسلام فتأبى علي. فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، وأدعوها فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم اهدها). فلما أتيت الباب إذا هو مجاف، فسمعت خضخضة الماء، وسمعت خشف رجل أو رجل، فقالت: يا أبا هريرة كما أنت. وفتحت الباب ولبست درعها وعجلت على خمارها، فقالت: إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: يا رسول الله، أبشر فقد استجاب الله دعوتك، قد هدى الله أم أبي هريرة. وقال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم حبب عبيدك وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهما)."

هذا التناقض يجعل الإنسان يعتقد بوجود أكثر من محمد! محمد الرحمة، ومحمد الوهابية - والعياذ بالله - فالتناقض واضح وضوح الشمس.

وللأسف يستغل البعض جهل الناس بهذه النقاط، ويجعلونهم يعتقدون أن رفض هذه النصوص كفر وإنكار للسنة، وهو في الحقيقة أبعد ما يكون. فمن أنكر هذه النصوص لا يكفر لعدم ثبوت النص لديه لأنه آحاد! وهذا كلام الشيخ ابن عثيمين! (22).

وشيخ الأزهر محمود شلتوت رفض حد الردة، والسبب أن الحدود لا تثبت بالآحاد (23). والإمام فخر الدين الرازي رفض الأحاديث التي تنسب الكذب لنبي الله إبراهيم بحجة أنها تخالف العقل ولا يجوز نسب الكذب لنبي، والحديث موجود في البخاري! .

وهذا نص من تفسير الرازي (24) :

الوَجْهُ السّابِعُ: قالَ بَعْضُهم: ذَلِكَ القَوْلُ عَنْ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ كِذْبَةٌ ورَوَوْا فِيهِ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «ما كَذَبَ إبْراهِيمُ إلّا ثَلاثَ كَذَباتٍ» قُلْتُ لِبَعْضِهِمْ: هَذا الحَدِيثُ لا يَنْبَغِي أنْ يُقْبَلَ؛ لِأنَّ نِسْبَةَ الكَذِبِ إلى إبْراهِيمَ لا تَجُوزُ، فَقالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: فَكَيْفَ يُحْكَمُ بِكَذِبِ الرُّواةِ العُدُولِ ؟ فَقُلْتُ: لَمّا وقَعَ التَّعارُضُ بَيْنَ نِسْبَةِ الكَذِبِ إلى الرّاوِي وبَيْنَ نِسْبَتِهِ إلى الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ مِنَ المَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أنَّ نِسْبَتَهُ إلى الرّاوِي أوْلى.

ويقول الشيخ طارق السويدان واحمد الخليلي مفتي دولة عمان إن من ينكر الآحاد لا يعد خارجًا من الإسلام، فالقضية خلافية معروفة (25). وهذه القضية معروفة بين العلماء وفي الكتب، ولكن مع انتشار الجهل اليوم، وعندما ترفض الفطرة السليمة الإساءة للنبي وللإسلام، يتهمون بالكفر والآحاد لمجرد رفضهم لما يخالف الفطرة الإنسانية.

ونختم هذا الأمر بقول الإمام فخر الدين الرازي، الذي اعترف بوجود تحريف، وأن على العلماء رفض الأحاديث التي تخالف القرآن والعقل، وحجته أن النصوص آحاد، وكونها صحيحة لا يكفي:

-"اشتهر فيما بين الأمة أن جماعة من الملاحدة وضعوا أخبارًا منكرة واحتالوا في ترويجها على المحدثين، والمحدثون لسلامة قلوبهم ما عرفوها بل قبلوها. وأي منكر فوق وصف الله تعالى بما يقدح في الإلهية ويبطل الربوبية؟ فوجب القطع في أمثال هذه الأخبار بأنها موضوعة. وأما البخاري والقشيري فهما ما كانا عالمين

بالغيوب، بل اجتهدا واحتاطا بمقدار طاقتهما. فأما اعتقاد أنهما علما جميع الأحوال الواقعة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى زماننا، فذلك لا يقوله عاقل. غاية ما في الباب أننا نحسن الظن بهما وبالذين رويا عنهم، إلا أننا إذا شاهدنا خبرًا مشتملاً على منكر لا يمكن إسناده إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قطعنا بأنه من أوضاع الملاحدة ومن ترويجاتهم على أولئك المحدثين." (26).

المصادر

1- الإمام محمود شلتوت، "الإسلام عقيدة وشريعة"، دار الشروق، ص60.

2- المرجع السابق، ص61.

3- فخر الدين الرازي، "أصل التقديس"، فصل الآحاد.

4- حسن أبو الأشبال الزهيري، "دورة تدريبية في مصطلح الحديث".

5- محمود شلتوت، "الإسلام عقيدة وشريعة"، ص281.

6- جمال البنا، "نحو فقه جديد"، المجلد الثاني، ص29.

الجريمة و العقوبة في الفقه الإسلامي ص103

المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر مكتبة السائح الناشر التنوير -الاب سهيل قاشا ص275

7- موقع "إسلام ويب": معنى "السنة قاضية على القرآن".

8- جمال البنا، "نحو فقه جديد"، المجلد الثاني، ص22-28.

الامام محمد أبو زهرة تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية -الكتاب الأول -ص 72

9- محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية ص66

الجريمة و العقوبة في الفقه الإسلامي ص103

10- د. شرف القضاة، "المنهاج الحديث في علوم الحديث"، ص103.

11- الشيخ عثمان الخميس، "كم عدد الأحاديث المتواترة؟".

12- محمود شلتوت، "الإسلام عقيدة وشريعة"، ص11.

13- الشيخ عدنان إبراهيم، "لا توجد أحاديث متواترة أصلاً".

14- الشيخ أبو إسحاق الحويني، "حجية أحاديث الآحاد في العقائد والأحكام".

15- جمال البنا، "نحو فقه جديد"، المجلد الثاني، ص137-140.

16- حديث: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين..." (صحيح أبي داود).

17- حديث: "من بدل دينه فاقتلوه" (صحيح البخاري).

18- حديث: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط..." (صحيح أبي داود).

19- حديث عائشة: "تزوجني النبي وأنا بنت ست سنين..." (صحيح البخاري).

20- حديث: "أمرت أن أقاتل الناس..." (صحيح البخاري).

21- موقع ابن باز الرسمي، "حكم ترك الصلاة مع الإقرار بوجوبها".

22- الشيخ ابن عثيمين، "هل من أنكر حديث الآحاد لأنه لم يثبت عنده لا يعتبر مرتدًا؟".

23- محمود شلتوت، "الإسلام عقيدة وشريعة"، ص281.

24- تفسير الرازي - [الصافات ٨٥-٩٨]

25- طارق السويدان، "مختصر العقيدة الإسلامية"، ص90.

26- فخر الدين الرازي، "أصل التقديس"، ص217-218.

هل فعلاً هناك إجماع على مَنْ نقل لنا الحديث؟

وإذا أتينا اليوم إلى أي كاهن وسألناه ببساطة: كيف نثق بما نُقِلَ إلينا اليوم؟

سوف يرد علينا: "إن الأحاديث نُقِلَت إلينا عن طريق رجال، وهم ثقات لدينا، ولم نعلم عنهم أي مطعن أو أي ناقد." .

ولكن في الواقع، هذا الأمر غير صحيح، والسبب في ذلك أن الصحابة الذين يدَّعون أنهم نقلوا لنا السنة لا إجماع عليهم

فمثلًا: الخلفاء الراشدين محل خلاف بين مَن يعتبرهم أفضل الخلق وبين مَن يكفِّرهم!

وهذا يضرب فكرة الإجماع كلها ، مثلا نجد :

- الشيعة يكفِّرون الصحابة كأبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي، ونضيف لهم معاوية وعائشة. (1) وليس فقط ذلك، بل يترضَّون على مَن قتل عمر ويعتبرونه شهيدًا مسلمًا حَسُنَ إسلامه. (2)

- أما الخوارج(ومنهم الإباضية اليوم) فيترضَّون على عمر وأبي بكر ويلعنون عثمان وعلي، ويترضَّون ويعظِّمون ابن ملجم الذي قتل علي، ويعتقدون أنه رجل صالح. (3)

-«أهل السنة، بخلاف الشيعة والخوارج، يعتبرون الصحابة عدولًا. كما أنهم يرون أنّ من ينتقص الصحابة أو يطعن فيهم فقد يخرج من الإسلام ! وقد صرّح بعض علماء أهل السنة، مثل الشيخ ابن باز ، بأنّ من يطعن في الصحابة يُكذّب القرآن، ويستحق العقوبة "القتل"، وهذا نص كلامه كما ورد في الموقع الرسمي.» :

السؤال:

وهل الصحابة سواء في السب؟

الجواب:

المعروف عند العلماء أن من سبهم يُقتل؛ مرتد عن الإسلام، ما يسبهم إلا وهو قادح في دينهم وهم النَّقَلة الذين نقلوا لنا الدين كله.

وهذا رأي ثلاث مدارس إسلامية في أهم الصحابة وهم الخلفاء الراشدين. لو أتينا لكل المدارس الإسلامية، فعمر الكون لا يكفي لذلك.

ولكن للأسف، الأمر لا ينتهي فقط عند مدارس مختلفة، بل في المدرسة الواحدة. فالمدرسة السنية مثلًا تختلف جدًا في شخصية و معاوية: هل هو مسلم أم غير مسلم؟ ولقد ذكر الإمام الحافظ علي بن الجعد (شيخ البخاري) وأقسم أن معاوية مات على غير الإسلام! وكان الشيخ حسن السقاف ذكر ان الامام البوطي كان يعتقد بكفر معاوية وهو من علماء المسلمين الكبار . وهناك ايضاً خلاف على ابو هريرة عند اهل السنة فهناك من يترك اخبار ابو هريرة وهناك من يأخذها . (4)

والأمر لا ينتهي عند الصحابة، بل بالمواقف السياسية! كيف هذا؟

ببساطة، المسلمين في الماضي انقسموا إلى قسمين: قسم مع معاوية وقسم مع علي. فمَن كان يوالِي عليًا يصحح كل شيء جيد عنه ويقبل الصحابة الذين معه، ومَن كان مع معاوية يقبل من المعسكر الأموي.

ومن أوضح الأمثلة على هذا ما حصل للإمام النسائي، وكان من محبي الإمام علي. وعندما دخل الشام، أتى عليه الناس وطلبوا منه أن يذكر لهم فضائل معاوية، فقال: "أما يكفي معاوية أن يذهب رأسًا برأس حتى يُروى له فضائل؟"(ومعنى هذا الكلام: ألا يكفي أن معاوية أصبح ندًا لندٍّ للإمام علي؟).

وقال في بعض الروايات إنه لم يجد إلا: "لا أشبع اللّٰه بطنه."

فعندما قال هذا، ضربوه في خصيتيه ومات. (5)

وهذا كله يدل على ما نقول: إن الادعاء بالإجماع على الصحابة لم يقع، بل حتى على كتب الأحاديث.

- الشيعة لديهم الكافي.

- السنة لديهم البخاري.

- الإباضية لديهم مسند الربيع بن حبيب .

وكل كتاب يكفِّر صحابة الآخر، وكلهم "أصح كتاب بعد كتاب اللّه"... ومن باب المعلومة، ولا واحد من هذه الكتب لدينا له مخطوطة أصلية .

ولقد ذكر الامام محمد أبو زهرة في كتابة " محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية " في فصل الخوارج وجود فرقة إسلامية قديمة ذكرها السلف كالإمام الشافعي كانت لا تؤمن بالحديث بالمطلق ! ويقول : إلا ناس بالبصرة ، كانوا لا يعتمدون في الاستدلال إلا على الكتاب = (القران) (***) وقد غمرهم التاريخ في لججه ، ولولا أن الشافعي ذكرهم في الأم ما عرفهم أحد .

وبكل الأحوال، هذه الأمور كلها تثبت عدم الاتفاق على مَنْ نقل لنا الأحاديث، لا من الصحابة ولا من بعدهم.

المصادر

------

1 -كشف الأسرار – الخميني ص 122-124

وهناك كتاب كامل عن عائشة رضي اللّه عنها بعنوان: الفاحشة الوجه الآخر لعائشة – ياسر الحبيب

2 -على اليوتيوب: الحوار المفتوح مع الشيخ الحبيب – الحلقة 11

3-تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ص 315

4-مسائل الإمام أحمد برواية إسحاق بن إبراهيم، ص 408

ولقد قال ذلك الشيخ حسن السقاف في درس بعنوان : نقد احاديث في كتاب العلو المجلس 12 - المناقشة - ولقد قمت بسؤال الشيخ عن هذا الامر بهذا التسجيل المخصص لنقاش .

سير أعلام النبلاء- الجزء العاشر، مؤسسة الرسالة، ص 459

كتاب "زهرة الريحان" لشيخ حسن السقاف

سلسلة "معاوية في الميزان" لعدنان إبراهيم

كتاب حسن فرحان المالكي: هل مات معاوية على غير الإسلام؟(كافية ووافية في نقل أقوال السنة في نقد معاوية من المدرسة السنية)

جوهرة التوحيد الشيخ حسن السقاف - 622

5 - "زهرة الريحان" دار الإمام الرواس، ص 155

أَجْمَعَ وَاتّفَقَ فِي الّخَيَالِ الّجَمْعِي...

(هل أجمع المسلمون على صحة كل ما في الصحيحين؟)

في هذا الفصل نتناول بعض القضايا والخرافات التي تنتشر بين الناس بسبب الجهل، وللأسف يُعزّز هذه الخرافات بعض من يتكسب منها أو من يستغل الدين للشر. هذا الأمر دمّر المجتمع المسلم، وأساء إلى صورة الإسلام، بدل أن يكون دين السلام، يُقدَّم على أنه دين الإرهاب.
أحد هذه الأمور هو التصديق الأعمى للأحاديث لمجرد أنها وُصِفت بأنها صحيحة. وقد وضّحتُ سابقًا عند تناولي لموضوع "أحاديث الآحاد" أن المسألة لا تستقيم بهذه البساطة. وسنضرب مثالاً بكتابين فقط، هما: صحيح البخاري وصحيح مسلم.
ينقل الإمام المحدث الشيخ حسن السقاف(1) تضعيف السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الأربعة وغيرهم العديد من الأحاديث التي تُعتبر اليوم صحيحة وشائعة بين الناس. وهنا أنقل جزءًا من كلامه:
((قال الحافظ الجهبذ السيد أحمد ابن الصديق الغماري رحمه الله تعالى في أواخر كتابه "المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير" ص (137): (فكم من حديث صححه الحفاظ وهو باطل بالنظر إلى معناه ومعارضته للقرآن أو السنة الصحيحة، أو مخالفة الواقع والتاريخ، وذلك لدخول الوهم والغلط فيه على المعروف بالعدالة، بل قد يتعمَّد الكذب ، فإنَّ الشهرة بالعدالة لا تفيد القطع في الواقع، ومنها أحاديث الصحيحين فإنَّ فيها ما هو مقطوع ببطلانه، فلا تغترَّ بذلك، ولا تتهيب الحكم عليه بالوضع لما يذكرونه من الإجماع على صحة ما فيهما، فإنها دعوى فارغة، لا تثبت عند البحث والتمحيص، فإنَّ الإجماع على صحة جميع أحاديث الصحيحين غير معقول ولا واقع، ولتقرير ذلك موضع آخر، وليس معنى هذا أنَّ أحاديثهما ضعيفة أو باطلة أو يوجد فيها ذلك بكثرة كغيرهما من المصنَّفات في الحديث، بل المراد أنه يوجد فيهما أحاديث غير صحيحة لمخالفتها للواقع وإن كان سندها صحيحاً على شرطهما).

ونقل الحافظ ابن حجر في ((فتح)) (13/483/7017) في شرحه على كتاب التوحيد اثناء شرح حديث شريك بن أبي نمر في الإسراء ((قال الخطابي : ليس

في هذا الكتاب يعني صحيح البخاري حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل ، فإنه يقتضي تحديد المسافة ...)) .

وكتاب الدارقطني ((الإلزامات والتتبع)) كتاب مشهور فيه نقد لبعض أحاديثها.

وذكر ابن حجر في ((الفتح)) (8/743/4977) عند شرح الحديث الذي فيه إنكار ابن مسعود رضي الله عنه أن المعوذتين من كتاب الله تعالى ما نصه :
"وأما قول النووي في شرح المهذب: (أجمع المسلمون على أن المعوذتين - والفاتحة من القرآن، وأن من جحد شيئًا منها كفر، وما نُقل عن ابن مسعود باطل ليس صحيح ، ففيه نظر. وقد سبقه لنحو ذلك أبو محمد بن حزم فقال في أوائل المحلى : ما نقل عن ابن مسعود من إنكار المعوذتين كذب باطل . وكذا قال فخر الرازي في أوائل تفسيره : والأغلب على الظن أن هذا النقل عن ابن مسعود كذب باطل))
فهؤلاء ثلاثة من العلماء: ابن حزم و النووي و الرازي حكموا ببطلان هذا لأثر المذكور في الصحيح البخاري (****)

ونقل الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (7/358) أن ابن حزم رد أحاديث إسرائيل كلها التي في الصحيحين!
وقال الإمام المحدث الكوثري في تعليقه على شروط الأئمة الخمسة للحازمي (ص40):
"ألّف الحافظ الضياء المقدسي في ذلك مؤلفًا سمّاه ((غرائب الصحيحين)) وذكر فيه ما يزيد على مائتي حديث من الغرائب والأفراد المخرجة في الصحيحين".

كما ذكر الشيخ حسن السقاف(2) في الهامش:
الأول: أن هناك من هو أعلم في نظرك من السادة الغمارية ومن ابن الصلاح وقد طعن في البخاري وترك حديثه ومنهم أبو زرعة الرازي وأبو حاتم الرازي وابنه صاحب الجرح و التعديل و أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى الذهلي وهم أعلم من ابن الصلاح أيها الألمعي بكرات ومرات !! أم أنك لا تزال معانداً ومصراً على أن ابن الصلاح أعلم منهم بالحديث ؟! انظر الجرح و التعديل (7\191) ترجمة البخاري رحمة الله تعالى . ثم لا أسلم بأن ابن الصلاح أعلم من الغماريين بعلم الحديث البتة !!))

انتهى الاقتباس .

وأما محدث العصر عند السلفيين، الألباني(3)، فقد ضعّف مجموعة من أحاديث البخاري ومسلم ، وهذا مُسجَّل بصوته.

وقد صرح فخر الدين الرازي ان البخاري ومسلم يحتوي على الضعيف والتحريف (4)

وهذا يُثبت أن الإجماع على كل ما في الصحيحين غير موجود في الواقع.

بل قد تجد بعض الاحاديث تصح عند شيوخ ويرفضها شيوخ ، والمثال الاكبر رفض ابن مسعود المعوذتين كما ذكرنا في الاقتباس السابق ، فهناك من يصحح الخبر وهناك من يرفض الخبر . (لا اجماع)
وكما ذكرتُ في فصول سابقة من هذا الكتاب العديد من الأحاديث التي ضُعّفت، سواء في المتن أو في السند، وحتى بعض آثار الصحابة.
وقد رفضت عائشة نفسها بعض الأحاديث الموجودة في الصحاح اليوم ، منها:

- حديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَقْطَعُ الصَّلَاةَ: الْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ، وَالْحِمَارُ
رد عائشة :

رد عائشة :

فَقالَتْ عَائِشَةُ: قدْ شَبَّهْتُمُونَا بالحَمِيرِ والْكِلَابِ، واللَّهِ لقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يُصَلِّي وإنِّي علَى السَّرِيرِ بيْنَهُ وبيْنَ القِبْلَةِ مُضْطَجِعَةً، فَتَبْدُو لي الحَاجَةُ، فأكْرَهُ أنْ أجْلِسَ فَأُوذِيَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فأنْسَلُّ مِن عِنْدِ رِجْلَيْهِ.

- . سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، يَقُصُّ يقولُ في قَصَصِهِ: مَن أَدْرَكَهُ الفَجْرُ جُنُبًا فلا يَصُمْ

رد عائشة :

دَخَلْنَا علَى عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهمَا، فَسَأَلَهُما عبدُ الرَّحْمَنِ عن ذلكَ، قالَ: فَكِلْتَاهُما قالَتْ: كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِن غيرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ

وهناك العديد من الكتب تحت اسم " استدراكات عائشة" في نقل فقط ما كانت عائشة ترد به على الصحابة ، ومن المهم ان ننتبه ان اغلب النصوص في الصحاح اليوم !

الخلاصة:

لم يُجمع المسلمون - لا في الماضي ولا في الحاضر - على صحة أي كتاب بعد كتاب اللّٰه، ولا على أي حديث بعينه. ومن يدعي الإجماع على كتاب حديث معين فإنه يكذب على اللّٰه وعلى الناس.

ومن حقي كباحث أن أرفض الحديث إذا لم أقتنع به، كما شبّه الباحث إسلام البحيري(5): "عندما أدخل مطعمًا، لستُ ملزمًا أن أكون طباخًا، بل يكفيني الذوق العام لأرفض طبقًا لا يعجبني".

وقد قال النبي ﷺ: "استفتِ قلبك".

وإذا كان هذا حال الصحيحين، فكيف ببقية كتب الحديث التي لا يدّعي أحد أصلاً الإجماع عليها؟

المصادر :

----

1. العلو، مقدمة حسن السقاف، ص34-38

2. المصدر السابق
3. سلسلة الهدى والنور، الشريط 71، الفائدة 8
4. أساس التقديس، مكتبة الكليات الأزهرية، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص218
5. مناظرة إسلام البحيري مع أسامة الأزهري وعلي الجفري على قناة CBC

من كذب علي متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار

كما وضَّحْتُ في أجزاء سابقة بخصوص خبر "الآحاد"، أن الحديث الوحيد الذي يمكن لنا أن نقول عنه "متواتر" عن النبي هو الحديث الذي يقول: "من كذب علي متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار" .

مع العلم أن حتى هذا الحديث اختلف فيه العلماء اختلافًا كبيرًا، فمنهم من قال إن بعض ألفاظ الحديث غير صحيحة، والبعض قال إن الحديث في نهايته مشاكل، وهناك من قال إن الحديث غير متواتر. وهذه بعض الروايات الحديث :

١- من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار.

٢- من كذب عليَّ فليلتمس لجنبه مضجعًا من النار. (عن أبي قتادة).

٣- من كذب عليَّ متعمدًا للكذب ليُضلَّ به، فليتبوأ مقعده من النار.

٤- من كذب عليَّ ليُضلَّ به الناس، فليتبوأ مقعده من النار.

٥- من كذب عليَّ ما لم أقل، فليتبوأ بيتًا في جهنم.

٦- من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من جهنم.

٧- من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مضجعه من النار.

٨- من كذب عليَّ في رواية حديث، فليتبوأ مقعده من النار.

٩- من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ بيتًا في النار.

١٠- من كذب عليَّ، فهو في النار.

١١- من كذب عليَّ متعمدًا، كُلِّف يوم القيامة أن يعقد طرفي شعيرة ولن يقدر على ذلك.

١٢- من كذب عليَّ متعمدًا، أو ردَّ شيئًا مما أمرت به، فليتبوأ... (عن أبي بكر).

١٣- من كذب عليَّ متعمدًا، أو ردَّ شيئًا أمرت به، فليتبوأ بيتًا في جهنم. (عن أبي بكر).

١٤- من كذب عليَّ، ومن ردَّ حديثًا بلغكم عني، فأنا خصمه يوم القيامة، وإذا بلغكم عني حديث فلم تعرفوه، فقولوا: اللّٰه أعلم.

١٥- من كذب عليَّ، فليتبوأ مقعده بين عيني جهنم.

قالوا: يا رسول اللّٰه، نُحدث عنك بالحديث يزيد وينقص؟

قال: *"ليس ذاك أُعنيكم، إنما أُعني الذي يكذب عليَّ أمتي متحدثًا يطلب شين الإسلام"*.

قالوا: وهل لجهنم عين؟

قال: "نعم، أما سمعتم قوله: (إذا رأتهم من مكان بعيد...)، فهل تراهم إلا بعين؟" (عن أبي أمامة). (1)

وإذا كان هذا هو المتواتر عندهم بهذا الشكل لنفس الحدث أو الرواية التي تختلف كل الاختلاف فيها (الجمل بينها وبين بعضها)، فكيف نثق بأي نص آخر؟

ولست هنا في صدد شرح مشاكل هذا الحديث (2)، ولكن ما أريد أن أتكلَّم به هو أن الحديث الصريحٌ والمتواتر الوحيد عن النبي يقول إن الكذب على النبي يستلزم منه العذاب الأبدي في النار، وفي الواقع أن علماء الحديث لا تجد أحدًا يعمل بهذا الحديث بحق!

كيف ذلك؟ ببساطة، المشايخ وضعوا قواعد تسمح لهم بالتلاعب بالكلمات (كأصحاب السبت) حتى يتحايلوا على هذا النص الصريح، فبدلًا من أن يقولوا: "نحن نكذب على النبي!"، قالوا: "نحن لا نكذب على النبي بل نكذب للنبي!" (3).

وهناك أدلة يستدلون بها تجيز الكذب عندهم:

- "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرًا، أو ينمي خيرًا." قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس من الكذب إلا في ثلاث: الإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الأدب المفرد. الصفحة أو الرقم**: 297.

وهذا النص عام جدًّا، ما هو الإصلاح بين الناس؟ وهل هو متروك للفرد؟ أو للمجتمع حتى كل فرد ينظر في شأنه؟ ومن يحدد إذا كان يجب أن يكذب أو لا؟

إن هذا النص مرن جدًّا، فيمكن لأحد أن يكذب ويؤلف نصًّا على النبي وهو يحاور ملحدًا أو مخالفًا له بالمذهب بحجة أنه يريد الإصلاح وأن يدله على الخير (حسب اعتقاده)، وهل هناك مصلحة فوق مصلحة حفظ الدين؟ الجواب: لا يوجد.

,ما يدعم هذا الأخير هو الحديث الذي يقول:

- "سمَّى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم الحرب خدعة."

الراوي: أبو هريرة. المحدث: البخاري. المصدر: صحيح البخاري. الصفحة أو الرقم: 3029. خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

فالحرب ضد أعداء الدين وحفظ الدين أهم من أي أمر آخر.

وهناك فتوى على موقع الشيخ محمد صالح المنجد "إسلام سؤال وجواب" بعنوان "حالات جواز الكذب" (4) وتقول الآتي:

استنبط العلماء من الأدلة السابقة . وغيرها . بعض الأحكام ، منها :
1- الكذب ليس محرماً لذاته ، بل لما يترتب عليه من المفاسد .

2- إذا كان الكذب سيؤدي إلى دفع مفسدة أعظم ، أو جلب مصلحة أكبر : صار جائزاً حينئذ .
وينبغي عدم التهاون في شأن الكذب مع دعوى أنه لدفع مفسدة ، بل لا بد من الموازنة الصحيحة ، بين المصالح والمفاسد .
3- من استطاع أن يستغني عن الكذب باستعمال التورية والمعاريض : فلا شك أنه أولى وأفضل ، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إن في معاريض الكلام ما يغني الرجل عن الكذب) رواه البيهقي في " السنن الكبرى " (10/199) .
ومعنى المعاريض : أي الكلام الذي يظنه السامع شيئاً ويقصد المتكلم شيئاً آخر .
وهذه أقوال لبعض العلماء في تقرير هذه الأحكام .
قال أبو حامد الغزالي رحمه الله :
" اعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه ، بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره ، فإن أقلَّ درجاته أن يعتقد المخبَر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلاً ، وقد يتعلق به ضرر غيره .
ورب جهل فيه منفعة ومصلحة ، فالكذب محصل لذلك الجهل ، فيكون مأذوناً فيه ، وربما كان واجباً .
فنقول : الكلام وسيلة إلى المقاصد :
1- فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً : فالكذب فيه حرام .
2- وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق : فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحاً .
3- وواجب إن كان المقصود واجباً ، كما أن عصمة دم المسلم واجبة ، فمهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ، ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلا بكذب : فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن ؛ لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغني عنه ، وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة ، فيكون الكذب حراماً في الأصل إلا لضرورة .
فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء ، وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره .
كما لو أخذه ظالم ويسأله عن ماله : فله أن ينكره ، أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها : فله أن ينكر ذلك فيقول : ما زنيت ، وما سرقت ، وقال صلى الله عليه وسلم : (من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله) وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى ، فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلماً ، وعرضه بلسانه وإن كان كاذباً .
وكما لو سأله سر أخيه فله أن ينكره .
وكما لو أراد أن يصلح بين اثنين ، وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر

لكل واحدة أنها أحب إليه ، وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها ، أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به .
ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ، ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور ، فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ، ويزن بالميزان القسط .
فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشد وقعاً في الشرع من الكذب فله الكذب ، وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق ، وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما ، وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى ؛ لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة ، فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم ، فيرجع إليه .
ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه ، وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب ، فأما إذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والإضرار به ، وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم ، ثم هو لزيادات المال والجاه ، ولأمور ليس فواتها محذوراً ، حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفخر به وتكذب لأجل مراغمة الضرات ، وذلك حرام .
وقالت أسماء : سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : إن لي ضرة ، وإني أتكثر من زوجي بما لم يفعل ، أضارها بذلك ، فهل علي شيء فيه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور) متفق عليه .
وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ، ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا ، وذلك غامض جدا ، والحزم تركه ، إلا أن يصير واجباً بحيث لا يجوز تركه ، كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان .
وقد نقل عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب ، قال عمر رضي الله عنه : أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب . وروي ذلك عن ابن عباس وغيره . وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب ، فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعاً ، ولكن التعريض أهون" انتهى باختصار من "إحياء علوم الدين الغزالي" (3/136-139) .
وقال العز بن عبد السلام رحمه الله :
"الكذب مفسدة محرمة إلا أن يكون فيه جلب مصلحة أو درء مفسدة , فيجوز تارة ويجب أخرى ، وله أمثلة :
أحدها : أن يكذب لزوجته لإصلاحها وحسن عشرتها فيجوز .
وكذلك الكذب للإصلاح بين الناس وهو أولى بالجواز لعموم مصلحته...- ثم ذكر صوراً أخرى يجوز فيها الكذب ثم قال :-
التحقيق في هذه الصور وأمثالها أن الكذب يصير مأذوناً فيه" انتهى من " قواعد

الأحكام " (ص/112) .
وقال ابن حزم رحمه الله :
" ليس كل كذب معصية ، بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل وفرضاً واجباً يعصي من تركه ، صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً) ، وقد أباح عليه السلام كذب الرجل لامرأته فيما يستجلب به مودتها ، وكذلك الكذب في الحرب .
ثم نقل الإجماع على أن المسلم يجب عليه أن يكذب إذا سأله سلطان ظالم عن مكان مسلم ليقتله ظلماً ، وأنه إن صدقه وأخبره بموضعه كان فاسقاً عاصياً"
انتهى من " الفصل في الملل " (4/5) .

انتهى الاقتباس.

وهذا النص يثبت أن الكذب يجوز إذا كانت الضرورة تقتضي ذلك. ومن غريب الأمور أن المشايخ أيضًا يصححون خبرًا يقول إن النبي إبراهيم كذب ثلاث كذبات، وهذا دليل آخر على أن الكذب يجوز إذا كانت هناك مصلحة كما كانت عند إبراهيم:

-لَمْ يَكْذِبْ إبْرَاهِيمُ عليه السَّلَامُ إلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ منهنَّ في ذَاتِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ؛ قَوْلُهُ {إنِّي سَقِيمٌ} [الصافات: 89] ، وقَوْلُهُ: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} [الأنبياء: 63] . وقالَ: بيْنَا هو ذَاتَ يَومٍ وسَارَةُ، إذْ أتَى علَى جَبَّارٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فقِيلَ له: إنَّ هَاهُنَا رَجُلًا معهُ امْرَأَةٌ مِن أحْسَنِ النَّاسِ، فأرْسَلَ إلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقالَ: مَن هذِه؟ قالَ: أُخْتِي، فأتَى سَارَةَ قالَ: يا سَارَةُ، ليسَ علَى وجْهِ الأرْضِ مُؤْمِنٌ غيرِي وغَيْرَكِ، وإنَّ هذا سَأَلَنِي فأخْبَرْتُهُ أنَّكِ أُخْتِي، فلا تُكَذِّبِينِي، فأرْسَلَ إلَيْهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ عليه ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بيَدِهِ فَأُخِذَ، فَقالَ: ادْعِي اللَّهَ لي ولَا أضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللَّهَ فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ، فَأُخِذَ مِثْلَهَا أوْ أشَدَّ، فَقالَ: ادْعِي اللَّهَ لي ولَا أضُرُّكِ، فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ، فَقالَ: إنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بإنْسَانٍ، إنَّما أتَيْتُمُونِي بشيطَانٍ! فأخْدَمَهَا هَاجَرَ، فأتَتْهُ وهو قَائِمٌ يُصَلِّي، فأوْمَأَ بيَدِهِ: مَهْيَا، قالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الكَافِرِ -أوِ الفَاجِرِ- في نَحْرِهِ، وأَخْدَمَ هَاجَرَ. قالَ أبو هُرَيْرَةَ: تِلكَ أُمُّكُمْ يا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ.

الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: 3358 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

التخريج : أخرجه البخاري (3358)، ومسلم (2371)

فالكذب - نعيد ونكرر - يجوز إذا كان لمصلحة، ولا يوجد مصلحة أعلى من الإسلام وهي الضرورة الأولى...

ولقد صرَّح بعض العلماء بذلك وقالوا بشكل صريح:

- قال أبو العباس القرطبي صاحب كتاب "المفهم شرح صحيح مسلم" :

"استجاز بعض فقهاء أهل الرأي نسبة الحكم الذي دلَّ عليه القياس الجلي إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلم نسبة قوليه، فيقولون في ذلك: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلم كذا!! ولهذا ترى كتبهم مشحونة بأحاديث تشهد متونها بأنها موضوعة تشبه فتاوى الفقهاء، ولأنهم لا يقيمون لها سندًا."

نقله السخاوي في شرح ألفية العراقي (1)، والمتبولي في مقدمة شرحه الجامع الصغير.

ومنهم القصَّاص: يضعون الأحاديث في قصصهم قصدًا للتكسب والارتزاق، وتقربًا للعامة بغرائب الروايات. ولهم في هذا غرائب وعجائب، وصفاقة وجه لا توصف.

كما حكى أبو حاتم البستي: أنه دخل مسجدًا، فقام بعد الصلاة شاب فقال:

حدثنا أبو خليفة: حدثنا أبو الوليد عن شعبة عن قتادة عن أنس وذكر حديثًا، قال أبو حاتم: فلما فرغ دعوته، قلت: رأيت أبا خليفة؟ قال: لا، قلت: كيف تروي عنه ولم تره؟ فقال: "إن المناقشة معنا من قلة المروءة! أنا أحفظ هذا الإسناد، فكلما سمعت حديثًا ضممته إلى هذا الإسناد!!".

وأكثر هؤلاء القصاص جهال، تشبهوا بأهل العلم، واندسوا بينهم، فأفسدوا كثيرًا من عقول العامة.

ويشبههم بعض علماء السوء، الذين اشتروا الدنيا بالآخرة، وتقربوا إلى الملوك والأمراء والخلفاء، بالفتاوى الكاذبة، والأقوال المخترعة، التي نسبوها إلى

الشريعة البريئة، واجترأوا على الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وسلم، إرضاء للأهواء الشخصية، ونصرًا للأغراض السياسية، فاستحبوا العمى على الهدى، كما فعل غياث بن إبراهيم النخعي الكوفي الكذاب الخبيث، كما وصفه إمام أهل الجرح والتعديل، يحيى بن معين! فإنه دخل على أمير المؤمنين المهدي، وكان المهدي يحب الحمام، ويلعب به، فإذا قدامه حمام، فقيل له: حدّث أمير المؤمنين، قال: حدثنا فلان عن فلان أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: "لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر أو جناح"، فأمر له المهدي ببدرة (صرة فيها دنانير)، فلما قام قال: "أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلم!" ثم قال المهدي: "أنا حملته على ذلك"، ثم أمر بذبح الحمام، ورفض ما كان فيه.

وشر أصناف الوضاعين وأعظمهم ضررًا: قوم ينسبون أنفسهم إلى الزهد والتصوف، لم يتحرجوا من وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب، احتسابًا للأجر.

انتهى (5)

وهذا النص صريح أن البعض كان يضع الأحاديث (والحديث الموضوع من أنواع الضعيف)، وكان بعض العلماء لا يهتم لا للدين ولا للآخرة بل يهتمون فقط بالدنيا ، والبعض تساهل بالضعيف...

وليس فقط هذا، فمن المعلوم أن العلماء تساهلوا بقبول الضعيف، كالإمام أحمد الذي كان يقبل بالضعيف إذا لم يجد في المسألة حديثًا . ومن المعلوم أن العلماء أجازوا الروايات في فضائل السور بالضعيف وأخذها:

"فإن العلماء تعددت أقوالهم في العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، فمنهم من أجاز العمل به بشروط، وهذا قول أكثرهم حتى نُقِلَ عليه الاتفاق، ومنهم من منع العمل به مطلقًا." (6)

وقد انتقد بعض العلماء الإمام مسلم (صاحب ثالث أقدس كتاب "صحيح مسلم") لقبوله بضعفاء في الصحيح، وهناك من العلماء من اعتبر أن أخذ مسلم بالضعفاء ليس مشكلة! (7).

وهناك من العلماء من دافع عن "الموضوع"! ونقل أبو عبدالله بن منده عن أبي داود (صاحب السنن) أنه يخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره، وأنه أقوى عنده من رأي الرجال (8).

وقال ابن القيم: "يؤخذ بالحديث المرسل والضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي قدَّمه الإمام أحمد على القياس."

وقال ابن عبد البر: "أحاديث الفضائل لا يحتاج فيها إلى ما يحتج به."

وقال بعضهم: "الخبر إذا ورد لم يحرم حلالاً، ولم يحل حرامًا، ولم يوجب حكمًا، وكان في التغريب أو الترهيب أُغمض عنه وتُساهل في رواته."

ويقول الأستاذ جمال البنا: "باستثناء هذا الموقف فإن المحدثين جميعًا، والأئمة الأربعة استخدموا الحديث الضعيف وقدموه على القياس. وهو ما يوضح غلبة نزعة التساهل على التشدد." (9)

وهذا كله تحريف وتلاعب بكلام النبي الذي حذر بشكل واضح من أي كذب عليه، وكما هو واضح كان الكذب ((واصل الركب)) سواء بحسن نية أو بسوء نية، وسوء النية بهذه الأمور تسبق حسن الظن بالحقيقة.

فكم وضَّحنا في فصل "التاريخ المجهول" من هذا الكتاب أن الأحاديث جزء كبير منها عبارة عن صنعة سياسية، وفي بعض الأوقات يدعي الشيخ أن الحديث صحيح وهو ليس بصحيح ولا غيره، ولكن بسبب خوفه من السلط أو من أجل مكاسب قد يكذب ويظل.

وكيف سوف نتأكد من هذا الأمر الآن بعد كل هذه السنين؟ هل يكفي السند؟ الجواب: لا! فحتى السند قد يضعونه ويكذبون به!

وهذا الأمر ثابت عنهم، ويكفي في هذا المقام أن أستشهد بدروس الشيخ العلامة حسن السقاف تحت عنوان "نماذج من كذب أهل الحديث المجسمة على السلف" وهو مجلد كبير يقوم هو بشرحه بدروسه لمن أحب أن يرجع.

فكم من كذبة وكم من وضع وضعوا لمجرد المصالح؟

ولقد انتبه فرج فودة أن الجو العام للخلافة الإسلامية لم يسمح لأي عالم أن يعترض أصلاً حتى لا يكون مصيره هو مصيره كمصير ابن المقفع، فجاز بعضهم كالإمام أبي حنيفة أنواعًا من الخمر، وكان بعضهم يحل جميع أنواع المحرمات لسلاطينهم خوفًا على أنفسهم. فقد لاقى شيوخ المسلمين أنواع العذاب.

وانتشرت المثلية الجنسية وبيوت الدعارة في الخلافة العباسية والبطش والعنف، ولم يوجد أي رادع لهذا كله، فكله كان باسم السماء كذبًا وزورًا طبعًا (10).

ويا ليت الأمر انتهى فقط باختلاق أحاديث كاذبة، بل حتى القليل من الصحيح ضيعوه بقواعدهم. فمن القواعد التي تساهم بالكذب على النبي هي رواية الخبر بالمعنى!!

ولنبسط الفكرة لنعطي مثالًا:

- شادي قال: "يجب أن يعاقب المجرمون بالقتل."

- سمعني مصطفى ونقل المعلومة لآخر فقال: "يقول شادي: يجب أن يكون العقاب هو القتل."

- بعدها نقل نفس الكلام عن شادي عن مصطفى حتى آخر السند، وهو موسى يقول: "سمعت شادي يقول: يجب قتل الناس!"

وهذا فعلاً ما حدث في أحاديث النبي، فالكثير من أحاديث النبي تجد لها أكثر من رواية بأكثر من أسلوب، وكل واحد من الصحابة ينقل نص كلام النبي بحسب ما يعتقد أنه فهمه من النبي! وليس بضرورة أن يكون النبي فعلاً قصد هذا أو ذاك! (11).

ولقد درس الإمام صاحب كتاب "أضواء على السنة المحمدية" ووصل لنتيجة مفادها أن كل السنة تم روايتها بالمعنى ولا يوجد شيء نقل كما كان يقوله النبي بالحرف!!

وبعض العلماء يقولون - للأسف - إن النصوص جزء منها عُدِّل واختُصِر، وقد يكون ضاع المعنى أيضًا!:

وقال العلامة الجزائري في كتابه "توجيه النظر":

بعد البحث والتتبع تبين أن كثيراً ممن روى بالمعنى قد قصر في الأداء، ولذلك قال بعضهم: ينبغي سد باب الرواية بالمعني لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن أنه يحسن، كما وقع لكثير من الرواة قديماً وحديثاً. وقد نشأ عن الرواية بالمعنى ضرر عظيم حتى عد من جملة أسباب اختلاف الأمة، قال بعض المؤلفين في ذلك في مقدمة كتابه: إن الخلاف قد عرض للأمة من "ثمانية أوجه"، وجميع وجوه الخلاف متولدة منها، ومتفرعة عنها. "الأول" منها اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة، "الثاني" الحقيقة والمجاز، "الثالث" الإفراد والتركيب، "الرابع" الخصوص والعموم، "الخامس" الرواية والنقل، "السادس" الاجتهاد فيما لا نص فيه، "السابع" الناسخ والمنسوخ، "الثامن" الإباحة والتوسيع - وقال في باب الخلاف العارض من جهة الرواية والنقل: هذا الباب لا تتم الفائدة التي قصدناها منه إلا بمعرفة العلل التي تعرض للحديث فتحيل معناه، فربما أوهمت فيه معارضة بعضه لبعض، وربما ولدت فيه إشكالاً يحوج العلماء إلى طلب التأويل البعيد. ونحن نذكر العلل كم هي؟ (12).

ما نحاول أن نقوله هنا هو أن النبي كان واضحًا بأنه يحذر من الكذب على مقام النبوة، ولقد منع كتابة السنة أيضًا حتى لا يقع هذا التحريف كله، ولم يسمح أن تكتب السنة كما يدعي البعض اليوم في بعض الأحاديث المحرفة.

بل الواقع يقول إن كل هذه النصوص (جزء كبير منها) مزورة، ولقد فند الشيخ محمد رشيد رضا (راجع فصل التاريخ المجهول) هذا الأمر ووصل لنتيجة أن الادعاء بأن النبي أمر بكتابة السنة مجرد كذب.

مع ذلك لم يُصغِ للنبي أحد، وبدأ كل واحد منهم يتساهل أكثر في رواية الضعيف، ورواية المعنى، والوضع والتأليف.

والأمر لا ينتهي لهذا الحد، فالتحريف في أقوال النبي ابتدأ من حياة النبي نفسه!

وقد يدل على ذلك الحديث المتواتر الوحيد: "من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار." فهذا يدل أن التحريف والكذب كان يحدث أمام النبي.

وهناك أيضًا تحريف غير مقصود حصل من قبل من دخل بالإسلام وكان مشحونًا بمعتقدات يهودية مجوسية. فكان كل واحد فيهم يحاول تأويل الإسلام بما يعرف من المعتقدات التي كان عندهم في السابق. فمن كان يهوديًا ودخل الإسلام قد يفسر الإسلام بطريقة موسى بن ميمون الفلسفية، ومن كان زرادشتيًا قد يدخل المفاهيم الأخروية بالأحاديث.

وكان بعض الصحابة - كما فصلنا في فصول هذا الكتاب - يقلبون حديث النبي ويجعلونه عن اليهود كما في قصة كعب الأحبار.

ويمكن لأي باحث أن يرصد تأثر المسلمين بمجموعة من الأساطير القديمة الموجودة بشرق الأوسط، كالمعراج الأسطوري بالبراق (13)! فالبراق مخلوق

أسطوري غير مذكور بالقرآن ولكن بالسنة ذكر..

ولقد انتبه بعض العلماء لذلك وحاولوا تنقية الإسلام، ومنهم عبد الصبور شاهين في كتابه "أبي آدم"، حذر كل الحذر من الأخذ بالإسرائيليات، وكان ينتقد الأحاديث التي يطلق عليها "إسرائيليات"، وقال بالحرف عن هذه الأزمة:

"حتى وجدنا أكثر المفسرين للقرآن يرددون ما ذكرته الإسرائيليات ترديدًا حرفيًا، دون أدنى محاولة لعرض مضمونها على العلل، وتغربل ما حفلت به من خرافات وأساطير." .

وهناك من الباحثين من استطاع رصد نصوص من أديان أخرى كالزرادشتية التي قد تكون أتت من أهل بلاد فارس أو المانويين..

وهناك من كان يدون الأحاديث ضِد الإسلام بسبب الفتوحات (الاحتلال) لدولهم. فتذكر بعض المصادر أن أبا لؤلؤة المجوسي عندما قتل عمر كان يفعل ذلك من باب الانتقام من عمر بسبب قتل عمر لأهله، فخطط حتى انتقم منه وهو مجوسي مختلف عليه بين الفرق الإسلامية. فالشيعة يعتقدون أنه بطل ومؤمن، والسنة العكس. ولم يكن هو الوحيد الذي يحقد، فالعديد من الشعوب كانوا كذلك، وهذا قد يفسر الثورة ضد عثمان واغتيال علي على يد ابن ملجم.

وهناك الصنف المنافق الذي يدعي الإسلام من أجل أن يضربه من الداخل، كقصة عبد الله بن السرح الذي كان يغير الوحي وبعدها تاب، وهناك كاتب من قبيلة النجار الذي تنصَّر وكان يكتب الوحي أيضًا..

وهناك كذب من نوع آخر، وهو الكذب السياسي الذي كان يفرضه السلاطين على الناس . وهذا الأمر واضح جدًّا في أحاديث أن الخلافة في قريش، أو أنها فقط مع بني العباس حتى نزول النبي عيسى، أو أن النبي تكلم عن الخوارج مع عدم انتشار هذا النص في وقتهم، أو أن النبي تزوج عائشة في سن ٩ سنين، ولا يخفى على أحد انتشار العلاقات عند الخلافات الإسلامية حتى الشاذة منها!

فبعضهم انتشر لديهم ما يعرف اليوم بالمثلية في العباسية والعثمانية والأموية، أو انتشار ملك اليمين ونكاح السبايا والعبودية.

وأي رأي مخالف كان يُقتل أو يُنكل به، وهذا ما حدث مع العالم الرباني ثمامة بن الأشرس الذي كان لا يؤمن ولا يصدق أن اللّٰه أجاز ملك اليمين والسبي وبيع الأطفال، ومع ذلك حورب إلى الآن.

وأيضًا الجعد الذي اعترض من الناحية الدينية على بني أمية وقُتل في العيد!

أو المسلمين الذين رفضوا دفع الزكاة مع تأويل بعض النصوص القرآنية، الذين تم قتلهم لمجرد رفضهم دفع الزكاة تأويلاً للقرآن.

وحتى الوقت القريب، أخفى العلماء تفسيرًا للقرآن ينفي قطع الأيدي وقتل المرتد وينادي بكل الحب والسلام، ولقد ذكر هذا التفسير المخفي جمال البنا في "نحو فقه جديد" (14).

وهذا حدث من وقت قريب مع انتشار العولمة ووجود الانفتاح.

فما بالك بالماضي، وكم من أحد قُتِل وحوكم لمجرد اختلاف؟!

لذلك نقول إنهم كذبوا على النبي سواء بقصد أو من غير قصد.

المصادر

========

1- نحو فقه جديد، المجلد الثاني، ص 139-140.

2- ولكن يمكن لك إذا أحببت مراجعة المجلد الثاني من "الفتح الرباني" الذي كتبه الأستاذ جمال البنا "نحو فقه جديد المجلد الثاني"، الذي شرح فيه هذه القضية بتفصيل.

3- ولقد روى الأستاذ جمال البنا عن عالم حديث قصة طريفة لنقاش بين شخص يضع الحديث وآخر يرفض: ألا تخشى الوعيد الذي ذكر في الحديث الصحيح *"من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"*؟ فقال: أنا لم أكذب عليه، وإنما كذبت له! (نحو فقه جديد، المجلد الثاني، ص 111).

4- الإسلام سؤال وجواب، "حالات جواز الكذب"، 07/صفر/1432 الموافق 11/يناير/2011.

5- كتاب "الحديث في علوم القرآن والحديث"، أسباب الوضع، ص 220.

6- إسلام ويب، اسم الفتوى: "أقوال العلماء في الأخذ والاستدلال بالأحاديث الضعيفة"، 293257، الإثنين 2 رجب 1436 هـ - 20-4-2015 م.

7- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الثقافة العربية بيروت، الجزء الأول، ص 25.

8- نحو فقه جديد، جمال البنا، المجلد الثاني، ص 105.

9- المرجع السابق، ص 104-108.

10- فرج فودة، الحقيقة الغائبة، ص 108-110.

11- أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، الطبعة السادسة، دار المعارف، ص 53-51.

12- المرجع السابق، ص 70.

13- الوحي والنص، ص 335.

14- نحو فقه جديد، المجلد الأول، ص 117.

القول بصحة الحديث الصحيح يستلزم خطأ القرآن !

قد يبدو العنوان صادماً، وكم أنا أتمنى ذلك، ولكن الواقع أن هذا هو حال الكثير من الأحاديث الصحيحة بزعم المشايخ... ولقد كنت شديد الصدمة عندما قرأت بعض الأحاديث التي تتحدث عن ضياع ونقص القرآن!

فيورد البخاري حديثاً طويلاً على لسان عمر بن الخطاب يقول فيه إنه يشعر بالخوف أن يضيع الناس حد من حدود الله (وهو يقصد الرجم هنا). نص الحديث يقول:

قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن الله قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف."

وهذا ليس النص الوحيد، فيقوم البخاري في مكان آخر بنقل آية لا نجدها بالفعل بكتاب الله!:

"وقد قرأتها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده."

وهذه النصوص صريحة بوجود آية لم تعد موجودة اليوم في كتاب الله، وإذا كان الأمر مجرد نسخ كما يدعي البعض، فمن الحكمة الإلهية أن تبقى في القرآن لا أن توجد في السنة التي لا يؤمن بها كل المسلمين. وإذا كان حد بحق، كيف لا نجدها بالقرآن؟!

النبي قال بحديث صحيح بالنسبة لهم:

"ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً، ثم تلا: {وما كان ربك نسياً}."

فالأحاديث النبوية تتناقض بهذا الأمر كما هو واضح لكل عاقل، والمشكلة أن العقوبة في الحديث خطيرة جداً وتصل إلى القتل! فلا عودة في قضية الرجم ،وقتل الناس لمجرد خطأ واحد وهو الخيانة الزوجية غير مقبول(ويجب أن نلاحظ أن بعض الفقهاء يعتقد أن كل من مارس الجنس بطريقة شرعية سواء كان عن طريق ملك يمين أو الزواج لو مرة بحياته، يطبق عليه الحد! بمعنى آخر: لو كنت متزوجاً ومارست الجنس، وبعدها تم الانفصال بينك وبين زوجتك، وقمت بفعل الزنا بسيدة أخرى، هذا يستوجب حد الرجم! فالأمر أكثر من الخيانة) (1).

بسبب هذا الأمر، قد يستغل بعض أصحاب النفوس المريضة الذين يعانون من الشكوك في زوجاتهم وأمهاتهم ذريعة حتى يقتلوا أقرب النساء لهم. ويا إلهي! ما أكثر هذه الجرائم اليوم التي لا تنتهي ويكون الدين هو الحجة الأساسية في هذا الأمر، والدين أبعد ما يكون عن ذلك. ولنا في قصة الإفك عندما ترك النبي عائشة في حالها ولم يفعل لها أي شيء، بل تركها حتى يظهر الحق، مثال على الهدي النبوي الصحيح... على أي حال، هذه قضية أخرى، وما يهمنا فيها أن أحاديث الرجم بشكل صريح تقول بنقص بعض الآيات في كتاب الله.

ولدينا أيضاً قضية أخرى، وقد تكون أكبر من الرجم للبعض، وهي قضية شهيرة تم نشرها في الإعلام، وما زلت أذكر المشهد المشهور من برنامج "هالة شو"، حيث كانت هالة سرحان تتناول قضية "رضاع الكبير"، وكانت تستعرض فتوى نشرها شيخ أزهري يبيح فيها أن ترضع الزميلة زميلها حتى يحل لها! (2). نعم، كما تسمع: رضاع الكبير ، وهو أن يرضع الشخص الكبير بالسن من سيدة حتى يحل له الدخول عليها!

والقصة في البخاري طويلة، وهي في باب (رضاع الكبير)، عن شخص اسمه سالم مولى أبي حذيفة، تربى في بيت رجل وكبر في بيته، وأصبح صاحب البيت يشعر بالغيرة بسبب هذا الأمر، فذهبت زوجة هذا الرجل للنبي وأخبرته القصة، فقال النبي أن ترضع سالم من صدرها مباشرة كما يقول أبو إسحاق الحويني (3). أما القول بأن الرضاعة كانت من خلال كوب، فهذا الكلام لا يصح! وكانت عائشة تأمر

بنات أختها بترضيع الرجال حتى يدخلوا عليها وهذا الامر مذكور بصحاح الاحاديث (4)!

ولا أعلم كيف هذا الأمر مقبول أن يقال عن السيدة الشريفة العفيفة، أمي وأمكم عائشة رضي الله عنها! وكيف يستقيم هذا الكلام الموجود في السنة؟ هل ترضى يا صديقي أن تجعل زوجتك أو أختك ترضع صديقك حتى يدخل عليها؟ لا وحاشا! فما بالك بزوجة النبي؟!

ويا ليت الأمر انتهى فقط لهذا الحد، لا للأسف! فتقول عائشة إن هذا الأمر ذكر في القرآن مع آية الرجم التي ذكرناها سابقاً!! ولكن هناك ماعز أكل هذه الآيات والسور من تحت سرير النبي عندما كان الصحابة منشغلين:

عن عائشة أم المؤمنين قالت: لقد نزلت آية الرجم والرضاعة فكانتا في صحيفة تحت سرير، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تشاغلنا بموته، فدخل داجن فأكلها.

خلاصة حكم المحدث : صحيح.

الراوي: القاسم بن محمد وعمرة. المحدث: ابن حزم. المصدر: المحلى. الصفحة أو الرقم: 11/235.

وهذا الحديث صحيح! معنى كلام السيدة عائشة أن آية الرجم ورضاع الكبير آيات تم إزالتها من القرآن، وكان عمر وعائشة يعملون بهذه الآيات التي توجد فقط في كتب الحديث !

هذا الكلام يعني بشكل صريح ضياع أجزاء من القرآن، ناهيك عن الإساءات التي توجد به لمقام النبوة.

وأنا أسأل ضميرك الآن: هل أنت تقبل بهذا الكلام؟ اسأل نفسك، وفي النهاية هذا الأمر أتركه لضميرك...

وهناك من المشايخ من اعترف أن القول بصحة هذه الأحاديث يعني تحريف القرآن بشكل صريح! من هؤلاء المشايخ الشيخ يوسف القرضاوي في كتاب بعنوان "آية السيف" ، وفي هذا الكتاب اعترف أن القول بهذه الأحاديث وأيضاً

بالنسخ في القرآن يعني تحريف القرآن وتعطيل الآيات... وبالتحديد، آيات السلم في القرآن تحت آية السيف التي نسخت كل آيات السلم! (5).

بل وينقل أيضاً مجموعة من العلماء الذين رفضوا هذه النصوص والنسخ (6).

وهناك من الشيوخ من خاف الاعتراف بهذه المشكلة ولم يعترف بها إلا بعد الموت، كالإمام محمد أبو زهرة، فقد صرح الشيخ يوسف القرضاوي أن الإمام محمد أبو زهرة أخبره أنه لا يعتقد بوجود الرجم (7). والشيخ عدنان إبراهيم صرح بذلك في عدد من المحاضرات أن القول بهذه الأخبار يعني تحريف القرآن بشكل صريح (8).

وهناك خبر خطير يقول إن ابن مسعود كان ينكر المعوذتين! والخبر صحيح! وهذا صريح بأن القرآن قد يكون تمت الإضافة عليه. ولكن العلماء رفضوا النص ، مع صحة الخبر، رفضوه وضعفوه لأنه بصراحة ينص على تحريف القرآن (9). وهناك من المشايخ من يدافع عن هذا الأثر إلى اليوم ويحاول أن يقنع الناس أن ابن مسعود تراجع عن هذا الأمر بدون أي دليل حقيقي، يدافع فقط لمجرد أن الحديث صحيح الإسناد!

والأمر الأخطر برأيي هو الآيات المنتشرة بكتب الأحاديث، ولقد جمع النصوص كلها الباحث السوري نبيل فياض تحت مجموعة مجلدات تحت عنوان "اختلاف المصاحف"!! ولقد أتى بالعديد من النصوص والآيات التي لا توجد اليوم في أي من نسخ القرآن الموجودة عندنا اليوم (واقصد الموجوده بالسنة). وهذا إذا أخذنا بهذه الروايات، فنحن نقول إن القرآن محرف والعياذ بالله!! (10).

ناهيك عن التناقض بين القرآن والسنة في قضية المرتد، فالقرآن لم ينص على عقوبة لتارك الدين وقال: {لا إكراه في الدين}.

أما السنة تقول:"من بدل دينه فاقتلوه".

ولم يذكر ربنا في كتابه الذي يقول فيه {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ}

مع ذلك تجد العقوبات كالرجم الذي ذكرناه وقصصاً غريبة جداً لم ينزل الله بها من سلطان.

ومن تبصر في الكتاب وأمعن التفكير، سوف يصل لنتيجة أن أغلب هذا الكلام هو المدخل لنقد الدين. فمن اين يتم الهجوم على الدين ؟ هل تجد النقد موجهًا للقرآن؟ لا! كل النقد تجده موجهًا للسنة بما فيها الصحيحة، أما القرآن فلا يوجد لأحد عليه سبيل... وهذا واضح لأن القرآن كتاب مليء بالمترادفات، ولقد انتبه لهذا الأمر المهندس محمد شحرور في كتابه "الكتاب والقرآن" (11).

وعلى كل حال، هذا كله مما ذكرناه جزء صغير جداً من مشاكل السنة مع القرآن، وهي فقط نقطة في بحر.

المصادر

---

1 - الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، ص102.

2- اسم المقطع على اليوتيوب: "هالة سرحان ورضاع الكبير" .

3- ولقد شرح أبو إسحاق الحويني أن طريقة الترضيع تكون من الصدر مباشرة بلا كوب، وهذا الأمر موجود على قناته الرسمية باليوتيوب، واسم الدرس: "رضاع الكبير!! وقفة وبيان للشيخ الحويني".

4- "كانت عائشة تأمر أخواتها وبنات إخوتها أن يرضعن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها، وإن كان كبيراً، خمس رضعات، ثم يدخل عليها."

الراوي: عائشة أم المؤمنين. المحدث: شعيب الأرناؤوط. المصدر : تخريج المسند لشعيب. الصفحة أو الرقم : 26330.

5- "آية السيف"**، الشيخ يوسف القرضاوي، طبعة جامعة قطر، ص47.

6- المرجع السابق، ص25.

7- اسم المقطع: "الشيخ يوسف القرضاوي يتحدث عن لقائه بالشيخ محمد أبو زهرة" على قناة الحوار.

8- اسم المقطع: "الدكتور عدنان إبراهيم - لا نسخ في القرآن".

9-"مقدمة العلو"، حسن السقاف، ص36.

10- "التاريخ النصي لتدوين القرآن"، نبيل فياض، 4 أجزاء.

11- "الكتاب والقرآن"، محمد شحرور، الطبعة الأولى، الأهالي للطباعة والنشر، ص196.

الخاتمة

بعد كل ما تم تقديمه، نأتي الآن إلى السؤال المهم: ماذا نقبل وماذا نرفض؟

ومن وجهة نظري، إن السنة يوجد فيها الكثير من المشاكل كما عرضنا، ولكن أيضًا قد يوجد بها حق، فقد يكون بعض ما رُوِيَ في الحديث له أصل صحيح ولكن تحرَّف.

ولقد أراحنا علماء الأحاديث عندما صنَّفوا كل السنة على أنها "آحاد"، فكلها ظنية.

وهناك خير كثير في السنة يُفيد الإنسانَ في الحياة والأخلاق والمعاملات، ومن المؤكد أن السنن تحفظ الكثير من الحِكَم النبوية الجميلة.. وأما كيف نقبل ونرفض النصوص، فيمكن لنا أن نبدأ بعرض النصوص على:

1. العقل - فنحن مُكلَّفون بالعقل.

2.القرآن - وهو الميزان الذي نقيس عليه الروايات.

3. الأعراف الإنسانية - فقد أمرنا القرآن أن نأخذ بالعرف:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}.

4.العلم التجريبي- أي حديث يُعارض العلم الثابت التجريبي يجب علينا أن نتركه، لأن العلم التجريبي بعد ثبوته يصبح حقيقةً، ولا يمكن أن يكون الدين ضد العلم.

5. الاهتمام بالمتن- والمتن هو معنى الحديث، وهو أهم بكثير من الإسناد. وهناك قول منسوب للدكتور محمد حبش: "الأحاديث الرائعة لا تحتاج إلى إسناد". وإذا كان الحديث صحيحًا او ضعيف كما فصلنا في فصول هذا الكتاب يوخذ به حسب قواعد المشايخ فنعم نحن نقبل بقاعدة الدكتور محمد حبش .

6. رفض أي حديث يتكلم عن العالم الآخر - فالعالم الآخر أو الغيب كله موجود في القرآن، والأحاديث - كما وضحنا - تسرَّب إليها الكثير من الخرافات من أديان أخرى، فليس من المنطقي أن نأخذ منها أي أمر يخص الغيب.

وفي النهاية، نُختم الكلام بحديث النبي الذي اختصر كل هذه الأمور:

"اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ".

خلاصة حكم المحدث: حسن. الراوي: و ابصة بن معبد الأسدي. المحدث: الشوكاني. المصدر : إرشاد الفحول. الصفحة أو الرقم: 2/284.

المراجع الكتب

القرآن

كتب الاحاديث السنية

شرح نهج البلاغة

العقد الفريد

البداية والنهاية دار عالم الكتب

كتب فراس السواح :

الله والكون والإنسان - دار تكوين

الرحمن والشيطان- دار التكوين

الوحي والنص فراس السواح- دار التكوين

طريق اخوان الصفاء - دار التكوين

كتب نبيل فياض

زمن معاوية -دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع

التاريخ النصي لتدوين القرآن 4 أجزاء.-دار ابكالو

كتب جمال البنا

الأصلان العظيمان- دار الفكر الإسلامي

نحو فقه جديد المجلد الثاني -دار الفكر الإسلامي

كتب الامام محمد أبو زهرة

محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية - مطبعة المدني

الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي الامام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي

المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر مكتبة السائح الناشر التنوير -الاب سهيل قاشا

آية السيف الشيخ يوسف القرضاوي، طبعة جامعة قطر

الكتاب والقرآن محمد شحرور، الطبعة الأولى، الأهالي للطباعة والنشر

كشف الأسرار الخميني - كتاب إلكترونية

الفاحشة الوجه الآخر لعائشة – ياسر الحبيب

تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، الجزء الأول، الطبعة الثانية

مسائل الإمام أحمد برواية إسحاق بن إبراهيم

سير أعلام النبلاء- الجزء العاشر، مؤسسة الرسالة

معاوية في الميزان عدنان إبراهيم-نسخة الإلكترونية

حسن فرحان المالكي: هل مات معاوية على غير الإسلام - الكتاب في موقع الشيخ الرسمي بالنت

كتب الشيخ حسن السقاف

شرح جوهرة التوحيد - دار الامام النووي

زهرة الريحان- دار الإمام الرواس

مقدمة العلو- دار الامام النووي

ملف أئمة المجسمة الكذابين - كتاب الاكتروني

بصائر - النسخة الإلكترونية للدكتور المهندس هيثم طلعت

العلاج الرباني للسحر والمس الشيطاني، مجدي محمد الشهاوي، طبعة دار مكتبة الساعي

منذر الحايك، سلسلة كتب مقدسة 11 – أبستاق – كتاب زرادشت المقدس – دراسة مقارنة، دار صفحات

أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية - الطبعة السادسة، دار المعارف

صحيح البخاري نهاية أسطورة، دار الوطن

مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر ابن عاشور

الكواكب السائرة، للغزي

المنهاج الحديث في علوم الحديث للدكتور شرف القضاة

فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي المجلد الأول

تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك

تاريخ الخلفاء، للسيوطي، دار الإمام ابن حزم، الطبعة الأولى

الحقيقة الغائبة، فرج فودة

سير أعلام النبلاء، جزء 3

يوسف زيدان "شجون التراث".

كتب الإمام محمود شلتوت

الإسلام عقيدة وشريعة"، دار الشروق

الفتاوى الكبرى -نسخة الاكترونية

كتب فخر الدين الرازي

أساس التقديس، مكتبة الكليات الأزهرية، تحقيق د. أحمد حجازي السقا

فخر الدين الرازي، "التفسير الكبير".

طارق السويدان مختصر العقيدة الإسلامية - موجود على موقع الشيخ رسمي الكتاب

مراجع من الشبكة الإلكترونية

مقال على جريدة الوطن بعنوان: «شاربها يحشر يوم القيامة بوجه أسود».. من وراء أحاديث تحريم القهوة؟ كتب: أشرف محمد، الثلاثاء 21 ديسمبر 2021.

https://www.elwatannews.com/news/details/5867995

موقع قناة العربية بعنوان: سلطان عثماني حرّم القهوة وقطع رأس كل من شربها.

https://ara.tv/vjtbf

بشار عواد

صحيح البخاري بين الأصول الخطية ونظرية الانتقاء.

https://youtu.be/x7DiC3S7Y50?si=f6CbhWAUTddqPTx4

الموسوعة اليهودية

The Jewish Encyclopedia: KA'B AL-AḤBAR: By: Richard Gottheil, Hartwig Hirschfeld

مع ابراهيم عيسى على اليوتيوب :

https://youtu.be/fpUp08ybsNU?si=TrSggT5GIOfMLq9n

مناظرات الشيخ متولي إبراهيم صالح

https://youtu.be/ybchhY2fcvM?si=0dkgbYwzs05RNbfN

-https://youtu.be/xQMxFt3g9U4?si=P0ieyTqdfxDbHWx

حسن أبو الأشبال الزهيري، "دورة تدريبية في مصطلح الحديث".

https://ar.islamway.net/collection/3501/%D8%AF%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%AA%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB

موقع "إسلام ويب": معنى "السنة قاضية على القرآن".

https://www.google.com/amp/s/www.islamweb.net/amp/ar/fatwa/99014/

موقع ابن باز الرسمي، "حكم ترك الصلاة مع الإقرار بوجوبها".

https://binbaz.org.sa/fatwas/1403/%D8%AD%D9%83%D9%85-%D8%AA%D8%B1%D9%83-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D8%A7%D8%A9-%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B1-%D8%A8%D9%88%D8%AC%D9%88%D8%A8%D9%87%D8%A7

الشيخ ابن عثيمين، "هل من أنكر حديث الآحاد لأنه لم يثبت عنده لا يعتبر مرتدًا؟".

https://youtu.be/S_-iEDOyyaA?si=xgbvWTffKATXmNwn

مناظرة إسلام البحيري مع أسامة الأزهري وعلي الجفري على قناة CBC

https://youtu.be/ufswELr22og?si=YSgb70JTlceFcRS3

إسلام ويب، اسم الفتوى: "أقوال العلماء في الأخذ والاستدلال

https://www.google.com/amp/s/www.islamweb.net/amp/ar/fatwa/293257/

الإسلام سؤال وجواب، "حالات جواز الكذب"، 07/صفر/1432 الموافق 11/يناير/2011.

https://islamqa.info/ar/answers/154955/%D8%AD%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%AC%D9%88%D8%A7%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B0%D8%A8

هالة سرحان و الشيخ عبد المهدي ورضاع الكبير

https://youtu.be/ThPzp5QZn-s?si=Nv1KCPDm8NZ4X1z4

شرح أبو إسحاق الحويني لرضاع الكبير ، واسم الدرس: "رضاع الكبير!! وقفة وبيان للشيخ الحويني

https://youtu.be/T3VH0wl1v-8?si=WM3Ux8lbwwLTjtGT

الشيخ يوسف القرضاوي يتحدث عن لقائه بالشيخ محمد أبو زهرة على قناة الحوار.

https://youtu.be/GjjkCpR-6pU?si=nOLzbQyskAlnAy5Y

الدكتور عدنان إبراهيم - لا نسخ في القرآن

https://youtu.be/CIZ2TsPNAsE?si=gf5f8PAotDqV7DYB